الفصل الثالث
السخرية الشخصية

سبق أن تحدثنا عن السخرية الوطنية والسياسية، وعن السخرية الاجتماعية وعرفنا أن الواقع الاجتماعي غير منفصل عن الواقع السياسي، وإنما هو من تداعياته ونواتجه.

وسوف نتحدث في السطور التالية – إن شاء الله – عن السخرية الشخصية.

والسخرية الشخصية هي حصاد للواقع الاجتماعي، وإفراز دقيق وعميق للصور الجزئية السلبية التي تعيش في المجتمع، والتي يتكون منها النسيج العام له، من خلال ضميمة بعضها إلى بعض.

ويمكننا أن نقسم السخرية الشخصية – من خلال الأشعار الساخرة التي بين أيدينا – إلى لونين: السخرية الشخصية الذاتية، والسخرية الشخصية الغيرية.

ولكل من هذين اللونين تفريعات سوف نوضحها فيما يلي:

أولا: السخرية الشخصية الذاتية:

السخرية الشخصية الذاتية: هي التي يسخر الشاعر فيها من نفسه، ومن الأحداث والمواقف التي مرت به، أو التي يسخر فيها من أهله وذويه.

وهي لون طريف من ألوان السخرية؛ لأن السخرية – في الغالب- تتوجه إلى الغير، لكن أن تكون السخرية من الشاعر لنفسه ، فهذا هو وجه الطرافة فيها.

وطبعى أن يكون الإنسان الذي يسخر من نفسه أو يتهكم بها،ذا طبع مرح ونفسي ميالة إلى الضحك والتفكه ، حتى ولو كانت نفسه هي الضحية التي تقدم في ذلك .

وقد حاول كثير من النقاد والباحثين، أن يعللوا سخرية الشخص من نفسه وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، منها:

أن تهكم الشخص بنفسه – على إضحاكه – كثيرا ما يكون وقاية له من تهكم الناس به، وانصرافهم عن الضحك من عمله أو حالته إلى الضحك من فكاهته.

ولقد يكون تهكمه بنفسه تنفيسا عن غيظ مكتوم، أو صدى لاستهزائه بالأحداث التي مرت به،فهو ضرب من التعالي على حوادث الدهر ومفارقاته[1].

*وقد يكون تهكم الشخص بنفسه بسبب الرغبة في الحصول على خير يريده فيأخذ في الازراء بنفسه أمام الجالسين.

وكثيرا ما نجد هذا في المجتمعات التي تضم شخصا يقصد عون الآخرين له عن طريق إضحاكهم ، كما كان معروفا في بلاط الخلفاء ومجالس الأمراء ممن كانوا يتخذون من أنفسهم مادة للضحك والسخرية؛ حتى ينالوا من الرضا ما يسمح لهم أن يعيشوا عالة على السادة وعلية القوم[2].

*وقد يتخذ الإنسان السخرية من النفس وسيلة للشكوى من الحرمان، والتخلص من آلام الفقر والعذاب، أو خيبة الأمل[3].

*وقد يسخر الإنسان من نفسه؛ ليسخر ضمنا من أشياء أخرى في الحياة من حوله إذا وقفت في طريقه، وحالت دون تنفيذ ما يريد، فلم يوفق مثلا في أمر ما بسبب الأنظمة غير الصالحة، والروتين الضيق الأفق[4].

هذا، والسخرية الشخصية الذاتية تتفرع إلى فرعين، هما:

١.السخرية من العيوب الجسدية:

سخر بعض الشعراء المصريين في القرن العشرين من أنفسهم، وتناولوا عيوبهم الجسدية والأخلاقية والنفسية بصورة تثير الضحك أحيانا، والألم والسخط في أحيان أخرى.

والمقصود بالجسد: هو شكل الجسد كله، أو شكل عضو من أعضائه، والحركة التي تؤديها الأعضاء أو بعضها، وكذلك ما يتصل بالجسد كاللحية[5].

١- الفكاهة في الأدب، د. أحمد الحوفي ، ج١/١٠٣ بتصرف يسير.
٢- السخرية في أدب المازني، د. حامد الهوال/٦٣، ٦٤ بتصرف يسير.
٣- المصدر السابق نفسه/٦٦ .
٤- المصدر السابق نفسه/٦٧ .
٥- راجع: الفكاهة في الأدب، د. أحمد الحوفي، ج١/٥٨ .

وجدير بالذكر أن نشير- هنا- إلى أن السخرية من العيوب "لا تتناول العيب الجسمى تناولا مجردا، وإلا أصبحت في موضع اللوم الأخلاقي الذي يفقدها جمالها، وحسن تأثيرها على النفس، ولكنها تتناول – بالدرجة الأولى- مسئولية صاحب العيب، باعتباره كان يستطيع ألا يصاب بهذا العيب إذا التزم الأسلوب الإنساني والعادات الرياضية السليمة"[1] .

ومن خلال هذه الرؤية، وجدنا بعضا من الشعراء في النصف الأول من القرن العشرين، يسخرون من بعض عيوبهم الجسدية، التي سببت لهم في حياتهم كثيرا من الحرج.

* من ذلك قول الشاعر **"صالح الشرنوبي"** ساخرا من دمامة وجهه" [2]:

لـــك يـــا وجهـــي التعـــيس هجـــائي ... في صـــباحي ومغربـــي وعـــشائي

أنـــت متحـــف الدمامـــة والقـــبح (م) ... تنزهـــت عـــن صـــفات البهـــاء

مـــع ســـبق الإصـــرار صـــاغك ربـــي ... لعنـــة في نواظـــر الأحيـــاء

حـسب عيـشى مـن سـوء خلقـك نحـسا ... وبـــلاء مـــزودا ببـــلاء

فالشاعر – هنا – يسخر من قبح وجهه الذي جلب له التعاسة والشقاء في كل لحظة يعيشها، فحسبه من البلاء أنه نفر عنه الغيد الحسان.

وتكمن السخرية هنا: في تخصيص الشاعر هجاءه وسخريته بوجهه لا إلى غيره، وكأنه قصر ما عنده من هجاء وسخرية عليه دون غيره، لفرط القبح فيه.

وقد أعانه على ذلك أسلوب القصر الذي استعمله في البيت الأول.

كما تكمن السخرية – في البيت الثاني – حين يرسم الشاعر لوجهه هذه الصورة المقززة، فهو يجعله متحفا للدمامة والقبح، ثم يوغل في السخرية حين يجعله منزها عن صفات البهاء والكمال.

وهذه سخرية لاذعة، تثير في نفوسنا أطيافا من الألم والسخط.

١- السخرية في أدب المازني/٥١ .

٢- ديوان صالح الشرنوبي/٢٦٥ . "الخفيف التام".

* ومن ذلك قول الشاعر **"عبد اللطيف النشار"** ساخرا من علة العرج التي أصابته عندما تقدمت به السن[1]:

نحـــــو الثمانيـــــن ولا أبتلـــــي ... بعلـــة هـــل ذالكـــم يعقـــل؟

مـــــا دامـــــت الأرئس في صـــــحة ... فهـــين أن تبتـــــلى الأرجـــل

وكنـــت إذا أمـــشى يقـــول انـــبرى ... لا يعـــرف الريـــث ولا يعجـــل[2]

فـــصرت تيمورلنـــك في مـــشيتى ... بـــل علـــه في مـــشيه أفـــضل[3]

يبدأ الشاعر – هنا- بداية هادئة حين يستبعد أن يصل إلى سن الثمانين، دون أن يصاب بعلة في جسده ، ثم يذكر أن العقل ما دام سليما فشيء هين أن تصاب الأرجل أو أي عضو آخر من أعضاء الجسد ٠

ثم يأتي موطن السخرية- في البيتين الثالث والرابع- فيذكر أنه كان يمشى في ماضي أيامه مشية معتدلة سليمة من العيب والشين، لكنه صار في أيامه الأخيرة مثل "تيمورلنك" في عرجه واعوجاج مشيته٠

ويمعن الشاعر في السخرية أكثر، فيذكر أن (تيمورلنك) على عرجه الفاحش- ربما كان أجمل منه في مشيته وحركته٠

وهي سخرية خفيفة ومثيرة للضحك؛ لأن الشاعر عندما يسخر من علته بهذه الصورة، يصبح مبعثا مضاعفا للضحك، حتى لكأنه هو الضحك نفسه٠

١- ديوان النشار/٣٩٩ ٠ "السريع التام"٠

٢- (١)كلمة (يقول) في هذا البيت غير مناسبة، والأنسب أن تكون (يقال) وهي لا تختلف في الوزن٠ وكذلك كلمة (إذا) الصواب فيها (إذ) حتى لا ينكسر الوزن٠

٣- تيمور لنك" قائد عسكرى مغولي، ولد بالقرب من "كش" من بلاد ما وراء النهر في سنة ١٣٣٦م، وكان أعرج لحادثة تعرض لها في صباه٠

ينظر: (دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية، إعداد: إبراهيم خورشيد، أحمد الشنتناوى، ود٠ عبد الحميد يونس المجلس العاشر/٢٩٨ وما بعدها، الطبعة الثانية، دار الشعب ١٩٦٩م)٠

وهذا النوع من السخرية قليل؛ لأنه قلما يجرؤ شاعر على الإقدام عليه؛ لما يحتاج من شجاعة أدبية، وقوة في النفس.

٢- السخرية مما له اتصال بالنفس:

وفي إطار السخرية الشخصية الذاتية من العيوب الجسدية، نجد الشعراء- أيضا – يسخرون من الأشياء التي لها اتصال بهم، فيسخرون – مثلا – من الحرمان تعبيرا عن الرغبة في التخلص من آلام الفقر والعذاب، وخيبة الأمل، وفي ذلك من التنفيس عن أنفسهم ما فيه.

ويرى الدكتور طه حسين: أن تكلف الشكوى من البؤس وانتحال سوء الحال والافتنان في شكوى الناس والزمان، كان بدعا في العقد الأول من القرن العشرين، وأن حافظا كان يذيع هذا البدع ويروجه[١].

وعلى العكس من ذلك يرى كثير من الباحثين أن سخرية الرجل من فقره عريقة في تاريخ الشعر العربي في شتى عصوره، و"أن الأمة في تاريخها الماضي، أبدت جمودا عجيبا، وشحا أليما في حافظ وأمثاله، تصفق لهم طويلا، وتتركهم يتألمون من الحاجة إلى ضروريات الحياة، ولا تعينهم إلى أن ركنوا إلى الوظيفة، ولا تشجعهم بقليل مما في أيديها"[٢] .

وسواء أكان هذا البؤس بؤسا حقيقيا أم بؤسا مصطنعا، فقد عبر به الأدباء عن أحوالهم السيئة في تلك الفترة ، كما عبروا عن طموحات نفوسهم، وأمنيات قلوبهم المنسحقة تحت عجلات الضياع.

* يقول **"حافظ إبراهيم"** ساخرا من شقائه وتعاسته في الحياة[٣]:

وبيتي فارغ لا شئ فيه سوى وإنني في البيت عارى

١- راجع :حافظ وشوقي،/١٠٠، طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٨٢م.
٢- حافظ إبراهيم شاعر القومية العربية، بقلم محمد هارون الحلو/٤٦، طبعة المؤسسة المصرية العامة للأنباء والنشر والتوزيع والطباعة .
٣- ديوان حافظ إبراهيم،/٢٠٤ .

ومـــالي جزمـــة ســـوداء حتـــى أوافـــيكم علـــى قـــرب المـــزار
وعنـــدي مـــن صـــحابي الآن رهـــط إذا جـــاعوا فآســـاد ضـــوارى

يسخر **"حافظ "** في هذه الأبيات من ملامح الشقاء والتعاسة التي أطبقت عليه فبيته خال من الأثاث، ومن كل وسائل الراحة ، حتى إنك عندما تنظر في هذا البيت لا ترى فيه شيئا ، غير حافظ الذي يتقوقع في أحد أركانه عاريا، فليس لديه ثوب ولا حذاء يمكنانه من الخروج والاختلاط بالناس.

وهذه سخرية فجة من حرمان حقيقي أو موهوم.

* ومنه قوله – أيضا– ساخرا من رثاثة ثوبه القديم بعد أن كسى ثوبا جديدا[1]:

صـــحبتني قبـــل اصـــطحابك دهـــرا بذلـــــه في تلـــــون الحـــــرباء[2]
نـــسبوها لطيلـــسان ابـــن حـــرب نـــسبة لم تكـــن بـــذات افـــتراء[3]
كنـــت فيهـــا إذا طرقـــت أناســـا أنكرونـــي كطـــارق مـــن وبـــاء
كـــسف الـــدهر لونهـــا واستعـــارت لـــون وجـــه الكـــذوب عنـــد اللقـــاء[4]

يسخر **"حافظ"** في هذه الأبيات من رثاثة ثوبه، ويجمع له من الصفات المذمومة ما يدعو إلى النفرة منه، فهذا الثوب قد أخذ ألوانا شتى، وصورا مختلفة مع الزمن ، فمرة هو أحمر، ومرة هو أخضر، ومرة هو أسود، كما أنه قديم بال، حتى إن الناس لينكرون إذا أقبل عليهم به؛ مخافة أن يصيبهم بالأمراض والأوبئة المعدية.

وتكمن السخرية هنا: في وصف حافظ الساهر لثوبه القديم بالحرباء في تعدد ألوانه ورقعه، مع ما تثير كلمة "الحرباء" في النفس من قلق واشمئزاز، وإحساس بالنفرة.

١- الديوان/ ٢٠٦ . "الخفيف التام".
٢- البذلة من الثياب: ما لا يصان منها. والحرباء: دويبة تتلون بألوان مختلفة.
٣- الطيلسان: كساء أخضر من صوف. وطيلسان ابن حرب: مثل يضرب لكل ثوب قديم.
٤- كسف الدهر لونها: أخفاه وحجبه.

كما تبدو السخرية – أيضا – في تشبيه هذا الثوب بطيلسان ابن حرب ، وهو رداء يضرب به المثل في القدم والبلى، فكأن ثوب حافظ لما بلغ من الرثاثة والبلى مبلغا عظيما أشبه هذا الطيلسان القديم في تهالكه.

والسخرية – هنا – تدل دلالة واضحة على سوء الأحوال الاقتصادية في مصر في ذلك الوقت، كما أنها تدل على تبرم الناس بما لحقهم من بؤس وشقاء

* وعلى نفس هذا الدرب تبدو خطا الشاعر البائس **"عبد الحميد الديب"** حين يسخر من شقائه وتعاسته فيقول[1]:

أفي حجرتي يارب أم أنا في لحدى؟ ... ألا شد ما ألقي من الزمن الوغد
وهل أنا حي أم قضيت ؟ وهذه ... إهابة إسرافيل تبعثني وحدى[2]
تراني بها كل الأثاث، فمعطفي ... فراش لنومي أو وقاء من البرد!!
وأما وساداتي بها فجرائد ... تجدد إذ تبلى على حجر صلد
فأهدأ أنفاسي يكاد يهدها ... وأيسر لمس في بنايتها يردي
تساكنني فيها الأفاعي جريئة ... وفي جوها الأمراض تفتك أو تعدى
جوارك يا ربي لمثلي رحمة ... فخذني إلى النيران لا جنة الخلد!

يسخر **"الديب"** في هذه الأبيات من حالة البؤس والحرمان التي تغتال آماله في كل لحظة، وهو يتحامق حين يزعم أنه لا يدرى في أي مكان هو؟ أفي حجرة أم في قبر! كما أنه – لفرط معاناته وألمه – لم يعد يدرى أهو حي أم أنه قد مات!

والشاعر يضم إلى خراب المسكن ووحشته: خلوه من أي أثاث ، فذات الشاعر هي كل ما في حجرته من أثاث.

١- عبد الحميد الديب الشاعر البائس/ ١٣٩ . "الطويل".
٢- ديوان المازني،/٤٣، ٤٤ . "الطويل".

وهذه الحجرة – مع ما فيها من وحشة وخراب- هي حجرة متهاوية، يكاد أهدأ أنفاس الشاعر تهدمها، وفي ذلك من السخرية اللاذعة ما فيه، ومن المبالغة والتزيد ما يكشف عن سوء الحال.

ولعل ما جاء به الشاعر – في بيته الأخير- من طلب النقلة من الدنيا، والرحيل عنها، ولو إلى النار، من خير ما يصور ضيق الشاعر بالحياة، وبرمه بها؛ بسبب ما لحقه فيها من بؤس وشقاء.

* ومن ذلك – أيضا – قول الشاعر **"إبراهيم المازني"** ساخرا من تعاسته[1]:

أبيت كأن القلب كهف مهدم برأس منيف فيه للريح ملعب

أو أني في بحر الحوادث صخرة تناطحها الأمواج وهي تقلب

يسخر الشاعر- في هذين البيتين – من شقائه وتعاسته، ويرسم ملامح هذا الشقاء من صور تشبيهية يقدمها، ويبني عليها كلامه.

فهو يصور حال قلبه حين يمسي- وقد أثقلته الهموم والآلام- بحال كهف خرب متهدم، ألقته الأقدار فوق رأس جبل شاهق، للريح فيه صراخ وعواء مخيف. ثم يعطي الشاعر تشبيها آخر لحاله، إنه كصخرة ملقاة في بحر من الحوادث،والأمواج العاتية تناطحها بعنف وشدة لتنال منها، أو تفت من عزمها.

وهاتان الصورتان تتعاونان معا في رسم لوحة فنية لحالة الشقاء والتعاسة النفسية التي تعصف بالشاعر.

هذا عن السخرية الشخصية الذاتية في النصف الأول من القرن العشرين، أما عنها في النصف الثاني منه، فقد ندرت السخرية من العيوب الشخصية الذاتية التي تخص الجسد، وإنما اتجه الشعراء إلى مواصلة السخرية مما له اتصال بالنفس، حيث إنهم كانوا يجدون في الحديث عنه راحة تعمل على كسر حدته في نفوسهم.

١- ديوان دائما أنت بقلبي /١١٣، ١١٧ ، "الكامل".

ومن ذلك قول الشاعر "**فاروق جويدة**" من قصيدته "**إنسان بلا إنسان**"[١] :

- **يا بحر خاضمني الزمان وإنني**
- **ما عدت أعرف في الحياة مكاني !**
- **ما كنت أحسب ذات يوم أنني ..**
- **سأصير أغنية بغير معاني !**
- **ما كنت أحسب ذات يوم أنني**
- **سأصير إنسانا بلا إنسان !**

يسخر الشاعر – في هذا النص – من إحساسه الطاغي بالشقاء والتعاسة في الحياة، وتتجسد السخرية من خلال نداء الشاعر للبحر، ومخاطبته إياه بما يؤلمه ويؤرقه ،وكأنه لما لم يجد من البشر من يستمع إليه، لجأ إلى البحر يبثه مشاعره وخواطره، واضطرار الشاعر إلى اللجوء إلى ما لا يعقل ، يعد لونا من السخرية من واقع المجتمع الذي لم يستطع أن يوفر حتى مجرد الشعور بالسعادة لأبنائه.

- ومنه – أيضا – قول الشاعر "**فوزي خضر**" في إحدى جمراته[٢]:

- **كنت صغيرا ..**
- **أتقافز في هذى الدنيا**
- **منطلقا.. مرحا**
- **تتزاحم حولي أحلام طازجة**
- **واليوم:**
- **أقبع منكسرا ..**
- **تتزاحم حولي..**

١- ديوان : دائما أنت بقلبي /١١٣، ١١٧، "الكامل".
٢- ديوان بركان يركض/٦٦ ، "الرجز".

- **جثث الأحلام ٠**

فالشاعر – هنا- يسخر من شقائه وتعاسته، والتي بدت في انكسار آماله، وتحطم أحلامه٠

والسخرية تتجسد – هنا – من خلال هذا التناقض الغريب الذي تفصح عنه اللغة ويبرز الموقف٠٠ ففي وقت الصبا كانت أحلام الشاعر متزاحمة ومتوهجة ونابضة٠٠ أما اليوم، فقد انكسر خاطره، وامتلأت الطرق حوله بجثث آماله المنهارة المحطمة٠

٣. السخرية الشخصية الذاتية من العيوب الأخلاقية:

أما بالنسبة للسخرية الشخصية الذاتية التي تتصل بالعيوب الأخلاقية، مثل: البخل، والحقد، والغرور، والجبن، وحب الظهور٠٠الخ فقد ندر أن نجد شاعرا مصريا في القرن العشرين – فيما اطلعنا عليه من أشعار – يسخر من عيب أخلاقي في نفسه، ولعل السر في ذلك: يرجع إلى إحساس الشاعر بمسئوليته الكاملة عن هذا العيب الأخلاقي لأنه كان بمقدوره أن يتجنبه ويتحاشاه، ولكنه أهمل في حق نفسه وحق مجتمعه حتى ظهرت أخلاقه بصورة غير مرضية٠

وإنما جهر الشعراء المصريون – في القرن العشرين – بالسخرية من عيوبهم الخلقية كالعمى، والعرج، والدمامة دون حرج؛ لأنهم كانوا يستشعرون أنهم غير مسئولين عن هذه العيوب؛ لأن الله هو الذي خلقهم على هذه الصورة ، وأرادها لهم، وكأنهم – بذلك – يقدمون السخرية ومعها العذر٠

ومن الأمثلة النادرة التي عثرت عليها في السخرية الشخصية الذاتية من العيوب الأخلاقية: قول الشاعر **"العوضي الوكيل"** ساخرا من ابتلائه بمرض الحقد على الآخرين وذلك من قصيدته **"حقود"** [١]:

حقـــود فـــداوني مـــن الحقـــد إنـــني ... وإن كنـــت خـــير الـــشاعرين حقـــود

وإنـــي مـــلاك غـــير أن بفطـــرتي ... معـــاني للـــترب اللعـــين تعـــود

١- ديوان شفق/١٠٣، ١٠٤ ٠ "الطويل"٠

أأخـــرج عـــن أصـــل تأصـــل في دمـــي وكيـــف وقلـــبي بالأصـــول مقـــود

فالشاعر يسخر من نفسه – في هذه الأبيات- لما يتصف به من عيب أخلاقي وهو الحقد.

وتبدو هذه السخرية حين يبدأ الشاعر كلامه بكلمة "حقود" وهي واقعة خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: أنا حقود، وهذا الحذف له دلالة فنية ، وهي أن الشاعر أراد أن يسارع إلى ذم نفسه، والتركيز على هذه الصفة دون غيرها، واختار كلمة (حقود) دون (حاقد) لما فيها من المبالغة، وحتى يعطى – بذلك- إشارة إلى مدى سيطرة هذا العيب الأخلاقي عليه وامتلاء نفسه به.

كما أن الأمر الوارد في قوله: (فداوِنى) يعلن عن عجز الشاعر عن تقويم نفسه وتهذيب طباعه، ولذا فهو يطلب العون من الآخرين ، لإصلاح ما فسد من أخلاقه.

ونلحظ أن البيت الأول، قد بدأ بكلمة (حقود) وانتهى بنفس الكلمة، معطيا بذلك دلالة مهمة، وهي أن هذا الحقد قد استشرى في نفسه، وبلغ منها كل مبلغ، حتى إنه ليفرض عليه دائرة منيعة محاطة بالحقد من كل جانب.

وفي ذلك من السخرية والتهكم بعيب نفسه ما فيه.

ثانيا: السخرية الشخصية الغيرية:

السخرية الشخصية الغيرية، هي اللون الثاني من السخرية الشخصية في الشعر المصري في القرن العشرين.

ومعناها: أن يتوجه الشاعر بسخريته – بعيدا عن نفسه وأهله – إلى بعض الشخصيات في مجتمعه ساخرا من عيوبهم، وما فسد من طبائعهم .

وهذا اللون من السخرية – غالبا – ما يكون الهدف منه هو النقد والتوجيه والإصلاح، فتكون السخرية – بذلك – هادفة ومفيدة.

وقد يكون هدفه الدعابة والمرح، فتكون السخرية فيه لمجرد السخرية فقط، أو ما يمكن أن نطلق عليه "**السخرية الهزلية أو العبثية** " وهذا تقسيم للسخرية باعتبار الهدف كما لا يخفي.

وحين ننظر إلى شعر السخرية المصري في القرن العشرين، يمكننا أن نقسم السخرية الشخصية الغيرية إلى قسمين:

١. السخرية من العيوب الجسدية للآخرين ومما يتصل بها:

شئ طبعي أن يتوجه الساخر بسخريته إلى غيره، من خلال ما يقدمه من صور ساخرة للمسخور منه، مع مراعاة أن يكون الهدف من وراء هذه السخرية هو النقد الهادف والتقويم والإصلاح، وبذلك يتخلص المجتمع من بعض الصور السلبية التي توقف تطوره وتشده بعنف إلى الوراء.

والسخرية من العيوب الخلقية أو الجسدية عند الآخرين: تكون بالمبالغة والتهويل في إبراز هذا العيب الخلقي ، وتصويره بصورة تثير الضحك عند الآخرين.

وقد ذكرت قبل ذلك، أن الإنسان غير مسئول عن عيبه الخلقي، فكون الإنسان موسوما بعيب أو أكثر في خلقته، ليس ذلك دليلا على تخلفه وانحطاطه عن ركب الإنسانية "فالمرء بأصغريه قلبه ولسانه".

ولذا يقول حازم القرطاجني: "**فأما خلقة الإنسان وصورته فليس في قدرته نقل شئ منها عما وجد عليه، فحمد الإنسان بما يستحسن من هذا القبيل مخادعة له، وذمه بما يستقبح من ذلك تحامل عليه**" [1].

وعلى ذلك: فالهدف النبيل من السخرية هو الذي يجعلها مقبولة ومستساغة، أما إن لمح فيها شئ من التحامل والرغبة في الهدم ، فهذه ليست سخرية، وإنما هي هجاء مقزع وهو ما لا يدخل في دراستنا.

١- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجني/ ص١٦٩ ، مطبعة تونس ١٩٦٦م.

* وتبدو السخرية الشخصية الغيرية من بعض العيوب الخلقية، كما في قول **"حافظ إبراهيم"** ساخرا من رجل ضخم البدن ، قصير القامة[1]:

سـويته كالكركدن (م) وجاءنا كالأخدرى

وجه ولا وجه الخطوب (م) وقامة لم تشبر

يسخر **"حافظ إبراهيم"** في هذين البيتين من بعض العيوب الخلقية التي بدت لدى شخص معين يعرفه.

فيذكر أن الله – عز وجل – قد خلقه وصوره على صورة **"كركدن"** وهو حيوان معروف كالفيل حجما، وخلقته كخلقة الثور إلا أنه أعظم منه، وهو ذو حافر وعلى رأسه قرن واحد.

كما يصوره الشاعر في مجيئه في صورة **"الأخدرى"** وهو الحمار الوحشي.

وهذه صفات تتصل بحجم الجسم، وتشير إلى ضخامته التي تجاوزت كل حد،ثم ينتقل الشاعر إلى سخرية أخرى، فيصف وجهه بالدمامة والعبوس، حتى إنه ليفوق في قبحه وجه الخطوب، كما أنه قصير القامة لدرجة أنها لا تقاس بالشبر لفرط قصرها.

"والعرب تمدح بالطول، وتضع بالقصر" [2]، كما يقول أبو العباس المبرد. وكلها أوصاف- كما نرى – تصور لنا في سخرية لاذعة قبح الخلقة ودمامة المنظر.

ويعد **"قبح الشكل"** من العيوب الخلقية التي كثيرا ما سخر منها الشعراء؛لأن قبح المنظر، ودمامة الشكل من الأمور المنفرة حين يتلاقي الناس.

وقد اختصت الوجوه بقدر كبير من سخرية الشعراء المصريين في القرن العشرين وتنوعت صور تناولهم لها، ووصفها بالقبح والبشاعة.

* يقول الشاعر: **"إبراهيم ناجي"** ساخرا من رجل قبيح المنظر[3]:

١- الديوان/ ١٩٣ . "مجزوء الكامل".
٢- الكامل في اللغة والأدب، ج٩٢/١، طبعة نهضة مصر ١٩٥٦م .
٣- الأعمال الكاملة، ج١٩١/١ . "الكامل التام".

رجـــــل أرى بـــــــالله أم حـــــشرة ... ســـبحان مـــن بعبيـــده حـــشرة

يـــــا فخـــــر "دروينـــــن" ومذهبـــــه ... وخلاصـــــة النظريـــــة القـــــذرة

أرأيـــــت قـــــردا في الحديقـــــة قـــــد ... فلتـــــه أنثـــــاه علـــــى شجـــــرة؟

عبـــد الحميـــد، اعلـــم فأنـــت كـــذا ... مـــا قـــال "دروينـــن" ومـــا ذكـــرة

يـــــا عبقريـــــا في شناعتـــــه ... ولـــدتك أمـــك وهـــي معتـــذرة

فالشاعر **"إبراهيم ناجي"** يسخر في هذا النص من قبح شكل هذا الرجل، ودمامة منظره، إذ يبدو للعين حين تنظر إليه في صورة مستقبحة منفرة.

والسخرية تبدو في النص في عدة مواضع:

منها أن الشاعر – في بيته الأول- يتساءل سؤال سخرية وتهكم عن حقيقة ما يرى.. أرجل هو أم حشرة ؟ ! وسؤال الشاعر مبني على التشكك وعدم اليقين، وكأن الصورة التي يراها قد اختلطت عليه حقيقة ، حتى إنه لم يعد يميز حقيقة ما يراه.

وهي سخرية مؤلة موجعة، لعب فيها التحامق دورا فعالا.

كما تكمن السخرية أيضا في الأبيات- الثاني، والثالث، والرابع- حين يصف الشاعر هذا الرجل بالقرد؛ لبشاعة منظره، وقبح خلقته.

ويمعن الشاعر ويتمادى في سخريته من هذا الرجل حين يجعله دليلا عمليا مؤيدا لنظرية "داروين" التي تذكر أن أصل الإنسان قرد[1].

ثم يأتي البيت الأخير ليصف هذا الرجل بالعبقرية ، مميزا هذه العبقرية بأنها عبقرية في القبح والشناعة!

وتبلغ السخرية – هنا – مداها حين يذكر الشاعر أن "أم" هذا الرجل قد ولدته وهي معتذرة عن قبح ما أتت به !

١- وهي نظرية ثبت عدم صحتها (راجع: محاضرات في التيارات الفكرية، د. منى محمد سليم/٣١ وما بعدها، مطبعة الدار المصرية بالإسكندرية).

وأطراف السخرية – في هذا النص – تتعاون وتتعانق في نسيج فني مؤتلف لإثبات القبح والدمامة لهذا الإنسان.

* وتبدو خطا الشاعر "**عبد الرحمن شكرى**" على نفس هذا الدرب، حين يسخر من دمامة وجه رجل قبيح اسمه "**حسن**"[1] :

إذا وصفوا بالحسن مثلك ضلة ... فمن ذا يسمى قاتل الوجه أخرقا

فما الحسن في خلق ولا في خليقة لديك ... وليس الحسن فيك تخلقا

لقد كانت الدايات يسخرن حينما ... وصفن بحسن أظلم الوجه أحمقا

فكن كمن نادى من الزنج أسودا ... فقال له: يا أبيض الوجه مشرقا

وما صاغك الرحمن إلا فكاهة ... وماذا عليه أن يشاء وتخلقا!!

يسخر "**عبد الرحمن شكري**" في هذا النص من قبح ودمامة وجه هذا الإنسان الذي يقصده ، وهذا يبدو حين يجرده من كل معاني الحسن والجمال، سواء في الشكل أم في الصفات.

وفي البيت الثالث: تبلغ السخرية مداها حين يذكر الشاعر: أن "**القابلة أو الداية**" لما رأت ما عليه هذا الإنسان من قبح ودمامة في الشكل- عند ولادته- أسمته "**حسنا**" سخرية منه، كما تقول للأسود: يا أبيض، وللسقيم: يا صحيح، من باب المجاملة والتفاؤل.

وما أكده الشاعر – عن طريق القصر – في بيته الأخير، من أن الله- عز وجل- ما خلق هذا الإنسان إلا فكاهة وسخرية منه، أمر مرفوض؛ لأن فيه جرأة على الله وإقحاما للنفس في مجال البحث عن حكمة التباين الذي قد يبدو بين إنسان وإنسان آخر في شكله وصفاته، وسبحان القائل: "**إنا كل شئ خلقناه بقدر**"[2] وصدق قوله – صلى الله عليه وسلم- : "**كل شئ بقدر، حتى العجز والكيس**"[3] .

* ومن ملامح السخرية الشخصية الغيرية – فيما يخص العيوب الخلقية – السخرية من "قبح الصوت".

١- ديوان شكري/١٧٤ . "البحر الطويل".

٢- سورة القمر، الآية: ٤٩ .

٣- انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، ج١٥٩/٢ ، حديث رقم ١٩٧٥، طبعة دار التراث – القاهرة "بدون تاريخ".

وقبح الصوت: مدعاة إلى النفرة من صاحبه، كما أن حسنه مدعاة إلى إقبال الناس عليه، وتحببهم إليه؛ لأن النفس تأنس بما يريحها.

ولهذا رأينا كثيرا من سهام السخرية تتوجه إلى المغنين والمغنيات – أو غيرهما- إذا كان قبيح الصوت؛ لأن المفترض في المغنى والمغنية أن يطرب كل منهما الآذان ، لا أن ينفر ويؤذى.

ولهذا فإنه **"إذا اجتمع في المغنى أو المغنية قبح الصوت، وقبح الشكل، فقد جاء بالرذيلتين، مما يجعله هدفا لسهام الأدباء، وسخريتهم منه"**[1] .

ودور السخرية هنا: هو أنها تكون بمثابة "تنبيه إلى صاحب الصوت القبيح أن يكف عن استخدام صوته للإزعاج،وخاصة إذا كان مغرورا يظن أن له يدا في الغناء"[2] .

*يقول **"حافظ إبراهيم"**ساخرا من قبح صوت صديقه الدكتور**"محجوب ثابت"**[3]

يرغي ويزبد بالقافات تحسبها ... قصف المدافع في أفق البساتين

من كل "قاف" كأن الله صورها ... من مارج النار تصوير الشياطين

قد خصه الله بالقافات يعلكها ... واختص سبحانه بالكاف والنون

فحافظ – في هذه الأبيات – يسخر من قبح صوت صديقه هذا من ثلاث نواح:

الأولى: أنه بين أثر هذا الصوت على سامعه، وذلك حين وصفه بالغلظة والخشونة التي تنفر السامعين، وتصرفهم عنه، وتشيع بينهم الفزع والرعب، وهذا ما أبرزته لفظة (قصف المدافع).

الثانية: أنه أشار إلى نوع هذا الصوت، وهو أنه صوت غليظ خشن،يرهق آذان سامعيه ويجهدهم، وقد أبرز البيت الثاني هذا المعنى.

الثالثة: أن الشاعر ركز – هنا – على الوصف الشكلي لهيئة "محجوب ثابت" إلى جانب الوصف الصوتي ، فوصفه وصفا ساخرا ، حين جعله يبالغ ويتكلف في نطقه

١- الفكاهة في الأدب، د. أحمد الحوفي ، ج٦٩/١ ، بتصرف كبير.
٢- السخرية في أدب المازني، د. حامد الهوال/٥٢ .
٣- الديوان /١٨٩، ١٩٠ . "البسيط التام".

لحرف "القاف" حتى إنه ليمضغه مضغا، مع ما يصحب ذلك من انفتاح الفم، وانتفاخ الأوداج عند صدور صوت "القاف" التي تشبه الطلقة النارية، وبذلك استطاع الشاعر أن يبعث في الصورة الوصفية الحياة والحركة.

* ومنه قول **"عبد الرحمن شكري"** ساخرا من مغن ذي صوت ردئ[1]:

سمعنا غناء ما سمعناه رغبة ولكن لأمر في الحوادث مقدورا

تغنيت حتى مادت الأرض تحتنا كأنك إسرافيل ينفخ في الصورا

يسخر (شكري) في هذين البيتين من مغن ذي صوت شديد مفزع، ويحاول أن يبين أثر صوته من خلال رسمه لهذه الصورة الصوتية التي تتسم بالحدة، والعنف، فصوت هذا المغنى عند الغناء يجعل الأرض تميد وتختل تحت أقدام سامعيه.

وفي تشبيه صوت هذا المغنى، بصوت **"إسرافيل"** حين ينفخ في الصور: بيان لنوعية هذا الصوت ، وهو أنه صوت مفزع يحدث دويا وزلزلة.وفي ذلك من السخرية اللاذعة المؤلمة ما فيه.

*كذلك سخر الشعراء المصريون في القرن العشرين: من الأشياء التي تتصل بغيرهم، فسخروا من اللحى الطويلة، وتفننوا في ذلك بدرجة كبيرة.

والسخرية من اللحى الطويلة ومن أصحابها أمر قديم، وإمام الناس في ذلك: ابن الرومي، ليس في الأدب العربي فقط، بل في الأدب الإنساني قاطبة[2].

ويذكر الدكتور الحوفي أن مرد السخرية من اللحى الطويلة يرجع **"إلى قبح منظرها أحيانا، وإلى اتخاذها ذريعة للخداع وتضاء المآرب أحيانا أخرى، ولعل الأدباء عرفوا أن أعمال بعض الملتحين لا تتفق مع مظهرهم الذي يتظاهرون به، وأن بعضهم جهلة بالدين جهلا مضحكا ، فحملوا عليهم، وتفكهوا بهم وبلحاهم"** [3]دون أن يشيروا إلى شئ من هذه النقائص.

١- ديوان شكري/١٩٠ . "البحر الطويل".
٢- راجع: اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجرى، قحطان التميمى/٦٧ .
٣- الفكاهة في الأدب، ج١/٦٥، بتصرف .

* ومن ذلك قول الشاعر "**مصطفى صادق الرافعي**" ساخرا من لحية طويلة غريبة[1]:

يطـــــول لحيـــــته كالحبـــــال ... فياليـــت عمـــرى مـــن طولهـــا
كمروحـــــة الخـــــيش في العارضـــين ... تطـــــرى الهـــــواء بتبليلـــــها
وقـــــد لقبوهـــــا بـــــست اللحـــــى ... لتعظيمهـــــا ولتبجيلهـــــا
ألـــست تراهـــا تجـــر الذيـــول ... فيحظـــى الـــصغار بتقبيلـــها
وكـــم بحـــث النـــاس في أصلهـــا ... وأيـــن الوبـــا كـــان في جيلـــها

يسخر "**الرافعي**" من هذه اللحية الطويلة الغريبة، ثم يأخذ – بعد ذلك – في تفصيل ملامح القبح فيها: فهي في طولها وامتدادها كالحبال، ثم يمعن الشاعر في السخرية من هذا الطول المفرط لها، فيتمنى أن يكون عمره طويلا مثلها.

ويسخر الشاعر – كذلك – من عرضها، فقد امتدت واتسعت وتربعت في العارضين حتى أصبحت تشبه مروحة الخيش التي تستعمل للتطرية، وهو من هذه الناحية يقدم لنا صورة عن عرضها المفرط.

ثم يبالغ الشاعر بعد ذلك في سخريته فيذكر أن لهذه اللحية ذيولا تجرها وراءها مما يعطى فرصة لصغار الأطفال أن يعبثوا بها ويقبلوها دون استئذان من صاحبها، وعلى ذلك فهي لحية مبتذلة، وملقاة في الطرقات.

وهذه – بلا شك سخرية لاذعة قد تجاوزت كل حد.

*ومنه – أيضا – قول الشاعر "**أحمد الكاشف**" ساخرا من صاحب لحية طويلة حمراء[2]:

يـــا صـــاحب اللحـــية الحمـــراء عابثـــة ... بهـــا الريـــاح لقـــد أشـــبهت شـــيطانا
كأنمـــا فمـــك المفـــتوح محتبـــسا فيـــه ... اللـــسان وقـــد حاولـــت تبيانـــا
مأوى لأخبث ثعبان تحيـط بـه الذ (م)يران ... فاســـــتوقفته فيـــــه حـــــيرانا

١- الديوان،/ ج٢٠٢/١، ٢٠٣ . "البحر المتقارب التام".
٢- ديوان الكاشف/، ١٣٩ . "البسيط التام".

يسخر الشاعر- في هذه الأبيات – من هذه اللحية الحمراء، التي لا تنفك الرياح تعبث بها، وتطيرها في أنحاء شتى، مما جعل شكلها العام غير مقبول، وجعل صاحبها – وقد غاب وجهه فيها – مشبها الشيطان !

ويمعن الشاعر في تقبيح هذه اللحية، حين يذكر أنها تشبه النيران – في شكلها الأحمر – وقد أحاطت بفم صاحبها من كل ناحية، حتى غدا فمه يشبه الجحر العميق الذي تأوى إليه الحيات والأفاعي.

ولاشك في أن هذه صورة مستقبحة لهذه اللحية، وقد اتكأ الشاعر فيها على لون هذه اللحية الأحمر الذي يشبه النيران!

* هذا، وقد راج ذلك اللون من السخرية – أيضا – في النصف الثاني من القرن العشرين، فقد وجدنا من الشعراء المصريين من يسخر من عيب خلقي أو جسدي في شخص آخر، أو يسخر مما له اتصال به كما مر بنا في النصف الأول.

فنجد أنهم – مثلا – سخروا من "كبر الأنف" .

والواقع أن حظ الأنوف من السخرية في الشعر العربي عموما كان كبيرا، وقد حاول شعراء مصر في النصف الثاني من القرن العشرين، أن يلتقطوا هذه العيوب ويضخموها، وكانت عيوب الأنف من أقبح العيوب التي تهون من قدر صاحبها، لأن "الإنسان في المقابلة يركز على الوجه؛ لأنه مركز الجمال والهيبة، ومركز الوجه: الأنف وهذه خطورة الأنف في الهجاء، فموضع الأنف يقسم الوجه، فلو ارتفع الأنف لشان الوجه، وكذلك لو انخفض أو انحرف إلى أية جهة[1]:

* يقول الشاعر **"محمود غنيم"** ساخرا من ذى أنف عظيم[2]:

لـــي صـــاحب ظلـــه خفـــيف لأنفـــه دانـــت الأنـــوف

١- الهجاء الجاهلي، د. عباس عجلان/١٦٥ .

٢- الديوان/٥٨١ . "مجزوء البسيط".

أنـــف لـــه قمـــه وسفـــح فيـــه المغـــارات والكهـــوف
وإن قامـــت الحـــرب غـــاب فيـــه مـــن خـــوف غاراتهـــا ألـــوف
ســـألته أهـــو صنـــع ربـــي ؟ فقـــال: لا، بـــل بنـــاه خوفـــو

يسخر الشاعر- في هذه الأبيات- من ضخامة هذا الأنف، ويصفه بأنه أنف غريب في شكله وتركيبه.

وتكمن السخرية هنا: حين يصف الشاعر هذا الأنف بالجبل العظيم الحجم المترامى الأطراف، ذي القمة العالية، والسفح المنبطح في أسفله.

ويوغل الشاعر في السخرية من هذا الأنف حين يصفه بالاتساع، فيجعل المغارات والكهوف تتخلله، مما يجعله مأوى صالحا لإيواء ألوف من الناس، إن هاجمهم خطر أو داهمتهم حرب.

والشاعر- بهذا التصوير الساخر- يجعل الإنسان ينسى هذا الأنف، ويعتقد أنه يتجول في جبل حقيقي، فيه المرتفعات والمنخفضات، والكهوف والمغارات، وهذا أوجع في السخرية وألذع.

والبيت الأخير يحمل - أيضا - سخرية لاذعة ؛ إذ إن السؤال الذي يتوجه به الشاعر لصاحب هذا الأنف ليس سؤلا حقيقيا، وإنما هو سؤال قصد به التهكم والسخرية من كبر حجم هذا الأنف الذي أشبه الهرم في ضخامته!

*ويتبارى الشاعر **"على الجندى"** مع سابقه في السخرية من أصحاب الأنوف الكبيرة، فيقول[1]:

ظبيـــــان لـــــو عاصرتـــــه لمـــشى إليـــك مقـــيدا[2]
ورآك دون أنـــــوف مـــــن حملـــوا الأنـــوف الـــسيدا
مـــا زال مارنـــك الأشـــم (م) لكـــل ســـار فرقـــدا[3]

١- ألحان الأصيل/١١٣، "مجزوء الكامل".
٢- ظبيان: رجل عرف قديما بضخامة الأنف.
٣- المارن: مالان من الأنف وفضل عن القصبة.

ولتحـــــى أرنبـــــة تخـــــر(م) لهـــــا الأرانـــــب ســـــجدا[1]

يسخر الشاعر **"على الجندي"** في هذه الأبيات من هذا الأنف الضخم، ويستدعى في سخريته شخصية **"ظبيان"** ، الذي كان معروفا بضخامة أنفه في القدم.

والطريف في هذا الشأن أن الشاعر يزعم أن ظبيان – هذا –، لو عاصر صاحب هذا الأنف لمشى إليه مقيدا، وأسلم إليه الريادة في هذا الجانب، وجعله السيد المقدم على كل أصحاب الأنوف الضخمة، وهذه سخرية طريفة تتكئ على الموروث الأدبي القديم.

*وكذلك سخر الشعراء المصريون في النصف الثاني من القرن العشرين، من قبح الشكل العام لبعض الناس.

ومما جاء من هذا القبيل: قول الشاعر **"عمر عسل"** ساخرا من امرأة قبيحة المنظر[2]:

لهـــا وجـــه إذا ظهـــرت صـــباحا على الـدنيا بـه قلبـت ظلامـا

وأســـنان كـــدبش قـــد تهـــاوى على قـبر وقـد أضـحى حطامـا[3]

لهـــا شـــعر ولم يمســـسه مـــاء كـأن لـه مـع المـشط اختـصاما

تجـــوس بـــه وحـــوش كاســـرات تزيـــد برأســـها عامـــا فعامـــا

لهـــا صـــدر مـــن القطـــن المنـــشى وبنـدقتان تحـت القطـن نامـا[4]

وســـاقاها كدبوســـى عظـــام ولحـم الفخـذ لا يعـدو جرامـا

أداعبهـــا،تزوم بـــصوت جحـــش يـصحى مـن فظاعتـه النيامـا[5]

يسخر الشاعر **"عمر عسل"** في هذه الأبيات من امرأة قبيحة المنظر، ويرسم لها صورة، مستقبحة ومنفرة، فنراه يعبث بها عبث أصحاب الصور الكاريكاتورية، محاولا طمس الجمال ، وإبراز القبح ما وجد إلى ذلك سبيلا.

١- الأرنبة : طرف الأنف.
٢- ديوان قطرات الشهد/١٣٢ . "الوافر التام".
٣- الدبش: هو الحصى.
٤- البندقة: نوع من الثمر ذي حبات صغيرة
٥- تزوم: تصدر صوتا منكرا.

والشاعر يتناول هذه المرأة من ناحية الشكل العام، ثم يأخذ في تفصيل الجزئيات ويركز على العيوب والنقائص بصورة تساندها المبالغة في الوصف.

ويبدأ الشاعر بالوجه، الذي هو أول ما يواجهك من مخاطبك، فيصفه بشدة القبح،ويبالغ في ذلك حتى إنه ليجعل ظهوره في وقت الصباح سببا لانطماس النور في الكون وتحوله إلى ظلام حالك ، وفي ذلك من المبالغة في تقبيح هذا الوجه ما فيه.

ثم ينتقل الشاعر إلى الأسنان: فيصفها بالدبش لكبر حجمها، أما الشعر: فالماء لم يمسسه أبدا، مما عاد عليه بالتجعد والتداخل في بعضه بصورة معقدة، وذلك أمر يجعل المشط في خصام معه على الدوام، كما أنه يغرى بتنامى الحشرات به وتكاثرها.

ثم يسخر الشاعر من صغر صدر هذه المرأة: حين يسلبها أجمل ما في المرأة من أنوثة، وهو الصدر في فورانه وشموخه، فيزعم أن صدرها الذي يبدو للناظرين، ليس صدرا حقيقيا، وإنما هو صدر مفتعل من قطن كثير قد نامت تحته بندقتان صغيرتان.

وتمتد سخرية الشاعر- أيضا – إلى الساقين، فيشبههما بدبوسين من عظام،أما لحم الفخذ الذي هو مظنة الوفرة والكثرة فهو لا يعدو وزن الجرام وفي ذلك من المبالغة والغلو ما فيه.

ولا ينسى الشاعر أن يمد سلاح سخريته إلى صوت هذه المرأة حين يصفه بصوت الجحش في قبحه ونكارته واستكراه سماعه.

ولا يخفي أن الشاعر – في هذا النص – قد جمع لهذه المرأة من صفات القبح ودواعي الدمامة، ما هو جدير بأن يجعلها مخلوقا مشوها في شكله وتركيبه وتضاريس جسمه.

وهي سخرية طريفة، اعتمدت على المبالغة والتزيد في الوصف.

* وسخر الشعراء – كذلك – في النصف الثاني من القرن العشرين: من خشونة الصوت وفظاعته لدى بعض الأشخاص.

ومن ذلك قول الشاعر"**محمود غنيم**" ساخرا من خشونة صوت صاحب له[1]:

١- الأعمال الكاملة، ج١/٢٥٧ . "الكامل التام".

وإذا تحـــــرك فكـــــه متكلمـــــا أحســـست بركانـــا عليـــك تفجـــرا
ثقلـــت عبارتـــه، فأصـــبح صـــمته نغمـــا أرق مـــن النـــسيم إذا ســـرى

فالشاعر – هنا – يسخر من فظاعة صوت هذا الإنسان وقبحه، وقد اعتمد في سخريته تلك على أمور ثلاثة:

الأول: أنه لحظ شكل فك هذا الرجل عند الكلام، وما يحدث له من انفتاح وانغلاق، وكأنه إنما يتكلم بفكه لا بلسانه.

الثاني: أنه بين الأثر المترتب على سماع كلام هذا الرجل، وهو أنه يعطى إحساسا لمن يستمع إليه بأن بركانا عنيفا يتفجر من حوله، وفي ذلك من الوصف بالشدة والعنف ما لا يخفي.

الثالث: أبرز الشاعر أن سكوت هذا الرجل عن الكلام نغم ما بعده نغم، فصمته يعد أكثر رقة ونعومة من النسيم إذا سرى مداعبا الوجوه، وهذه مبالغة في وصف هذا الصوت بالقبح والفظاعة.

* وقد يسخر الشعراء من أشياء تتصل بغيرهم اتصالا مباشرا، والسخرية مما له اتصال مباشر بالشخص- كالسخرية من ثوبه أو مسكنه أو ممتلكاته الشخصية- تعتبر سخرية منه شخصيا، ولذا كان لهذا اللون من السخرية أثره على نفس المسخور منه.

ومن هذا اللون قول الشاعر **"على الجندى"** ساخرا من ضعف وهزال بعض الخراف التى أرسلها الشاعر **"عبد الحميد فتحى مرسى"** إليه ليضحى بها[1]:

أخـــــراف هاتيـــــك أم أنقـــــاف ؟ نبئونـــا عـــسى يزول الخـــلاف[2]
مـــسها الـــضر والهـــزال فراحـــت تتهـــادى كأنهـــا أطيـــاف!
قـــد رآهـــا الجـــزار فانتابـــه الغـــشى(م) وخفـــت لحملـــه الأســـعاف[3]

١- ألحان الأصيل/١٠١ . "الرمل التام.
٢- الأنقاف : صغار الكتاكيت.
٣- الغشى: الإغماء .

هـــل سمعـــتم أو هـــل رأيـــتم خرافـــا ... لا لحـــــوم بهـــــا ولا أصـــــواف؟
قلـــــت لمـــــا أتـــــي إلى خرزفـــــي ... رب أنـــت المعـــاذ ممـــا نخـــاف!
لـــيس يرضـــي بهـــا فـــدى "حجـــة اللّه" ... ويـــأبي قبـــولها "الأحنـــاف"[1]
وهي عند"ابن حنبل"و"ابن إدر(م) يس" ... لحـــــوم تعافهـــــا الأشـــــراف[2]

يسخر الشاعر **"على الجندى"** في هذه الأبيات من تلك الخراف الضعيفة الهزيلة التي تتهادى في مشيتها، وهي لصغر أحجامها، وقلة لحمها لا تكاد تظهر لعين الرائي وكأنها طيف من خيال.

وقد اعتمد الشاعر في سخريته من هذه الخراف على أمور:

منها: أنه لجأ إلى أسلوب التشكك وعدم التثبت – كما في بيته الأول- فهو لا يدرى حقيقة ما يرى، أخراف تلك التي يراها أم كتاكيت صغيرة لا تكاد تظهر للعين؟ وفي هذا الأسلوب من المبالغة في وصف هذه الخراف بالضعف والنحافة الشئ الكثير.

ومنها: أنه – في الأبيات الأربعة التالية للبيت الأول- أخذ يؤكد نفس المضمون الذي يحمله، فقد زعم أن الجزار لما رأى ما عليه هذه الخراف من ضعف وهزال، أصيب بحالة من الإغماء، وأكد المعنى حين جعل الإسعاف تسرع بحمله وكأن الفاجعة مؤلمة وخطيرة.

ومنها: أنه جعل هذه الخراف غير مقبولة شرعا في التضحية ؛ فقد نص مالك وأبو حنيفة ، وابن حنبل، والشافعي على أن تكون الأضحية غير هزيلة ولا ضعيفة، وهو ما لا يتحقق في تلك الخراف التي تشبه الكتاكيت الصغار.

وهذه السخرية تميل إلى الدعابة والمرح – كما نرى – وإن كانت في الوقت نفسه تعطى انطباعا عما يجب أن تكون عليه الهدية، ولاسيما إذا كانت أضحية.

١- حجة الله: الإمام مالك.
٢- ابن إدريس: هو الإمام الشافعي.

٢. السخرية من العيوب الأخلاقية:

كثيرة تلك العيوب الأخلاقية التي ركز الشعراء المصريون في القرن العشرين على نقضها ومكافحتها، باعتبارها مظهرا من مظاهر النقص والانهيار الذي يهدد كيان المجتمع المصري.

ولعل من أول هذه العيوب الأخلاقية التي تهكم بها الشعراء:

*الثقل: والثقل هنا يقصد به ثقل الظل أو الروح، وهو أمر يترتب عليه عدم القبول لهذا الشخص، ورفض الناس له، وقد لا يكون بين الناس وبينه عداء أو خصومه، ولكن ثقله يجعله مبغضا إليهم بالفطرة.

ومن ذلك قول الشاعر **"مصطفى صادق الرافعي"** ساخرا من ثقيل[١]:

وثقيـــــل بـــــات في نعـــــم ... وأرانـــــي منـــــه في نقـــــم

قـــــال: ألقـــــاك صـــــباح غـــــد ... يـــــا غـــــد عجـــــلت بالـــــسقم

فالشاعر يتهكم بهذا الإنسان الثقيل ، ويصفه بأنه نقمة وسقم يصيب النفوس فيسلب منها السعادة والهناء.

والشاعر – كما ترى – يصف هذا الإنسان بثقل الظل، دون أن يتهجم على شرفه أو أصله، ودون أن يفحش في القول.

وقد استعمل في بيته الأول "الجناس الناقص" بين كلمتي "نعم ونقم" وهو يصور الهوة العظيمة بين الحالين، حال الشاعر وحال هذا الثقيل .

*ومنه قول الشاعر **"على الجارم"** ساخرا من ثقيل أيضا [٢]:

تبـــــا لـــــه مـــــن ثقيـــــل ... دمـــــا وروحـــــا وطينـــــه

لـــــو كـــــان مـــــن قـــــوم نـــــوح ... لمـــــا ركبـــــت الـــــسفينة[٣]

١- ديوان الرافعي ج١٠١/٢ . "مجزوء المديد".

٢- المختار من شعر على الجارم/١٢٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠١م.

٣- البيتان من بحر المجتث (مستفع لن – فاعلات) والسفينة: سفينة سيدنا نوح عليه السلام كما جاء ذكرها في القرآن الكريم.

يسخر **"الجارم"** من هذا الإنسان الثقيل ويدعو عليه بالهلاك، وما ذلك إلا لأن طبيعته الثقيلة قد شملت كل شئ فيه، حتى أصبح لا يطاق، فدمه ثقيل، وروحه ثقيلة وطينته أيضا ثقيلة.

ولعل السخرية تبدو بوضوح في البيت الثاني، الذي يفترض الشاعر فيه فرضا وهو أن هذا الرجل لو كان من قوم سيدنا نوح الذين ركبوا معه السفينة في وقت الطوفان لما ركبها الشاعر إذن ! وما ذلك إلا لأنها ستغرق لا محالة من ثقل هذا الإنسان !!

والرافعي يعتمد في سخريته من هذا الثقيل على الجناس، بينما اعتمد الجارم على الموروث الديني المستمد من القرآن الكريم.

* ومن ذلك قول**"عبد الرحمن شكري"** ساخرا من شاب ثقيل يدعى الفكاهة والظرف[1]:

ثقلت على النفوس فكنت سدا ... وثقلت سوائل الأرواح بردا

فكل نارا ولا تطعم سواها ... لعلك أن تحب وأن تودا

وكلا لا تذق جمرات نار ... فتشعل منك أضغانا وحقدا

وإن النار تمحو كل نتن ... سوى نتن عمدت إليه عمدا

ولو قول وجيع الذم مر ... أريق على قفاك لعاد جمدا

يسخر **"شكري"** من هذا الشاب الذي يدعى لنفسه خفة الروح والظرف، بينما هو ثقيل على نفوس الناس مبغض إليهم بالفطرة.

ويتمادى الشاعر في سخريته حين يطلب من هذا الشاب – إذا أراد أن يحبه الناس ويودوه- أن يأكل نارا، وألا يتناول شيئا سواها، لعل ذلك يذهب بعضا مما امتزج بروحه من برود وسماجة بتأثير حرارة النار.

ويبدو الشاعر في حيرة حين يعود فينهى هذا الشاب عن تناول شئ من النار، لأنها ربما أشعلت فيه بواعث الحقد والضغينة، والمعنى أنه سيئ على كلا الحالين !!

١- ديوان شكري /٥٦٥ ، ٥٦٦ . "الوافر التام".

ثم ينهى الشاعر كلامه بهذه السخرية اللاذعة، حين يصف هذا الشاب بأنه – نظرا لبرودة وسماجته – لو أريق على قفاه قول مؤثر شديد الألم، لعاد قولا جامدا ، مما لقي من برودة بهذا القفا !!

***ويقول العقاد ساخرا من ثقيل لئيم[1]:**

حياتك شؤم على العالمين وموتك شؤم على الآخرة

فعش أبدا نائما ، يسترح كلا ذين من نفسك الفاجرة

يسخر العقاد في هذين البيتين من إنسان ثقيل الروح لئيم الطباع.

وتبدو السخرية منه، حين يجعل **"العقاد"** من حياة هذا الإنسان وموته شؤما، فهو في حياته شؤم على الأحياء ونقمة عليه، كما أنه في موته شؤم على الأموات ، وأذى ينزل بهم!

ويتعالى صوت الشاعر بالسخرية هنا حين يأخذ في البحث عن حل لهذه المشكلة فيطلب من هذا الإنسان أن يقضي مدته في الحياة نائما، وبذلك يستريح منه الأحياء والأموات على السواء.

وهذه سخرية مرة ولاذعة، يجسدها الأمر بالنوم الوارد في البيت الثاني.

***وسخرا كذلك من المخادعين:**

والخداع في الأصل: هو التلون وعدم الثبات على رأى واحد، والإنسان المخادع: هو الذي يظهر خلاف ما يبطن، ويريد لك المكروه من حيث لا تعلم.

وعلى ذلك فالمخادع تشتعل بين طيات نفسه رغبة مسعورة تدفعه إلى غش الآخرين والكذب عليهم؛ جريا وراء هوى شخص ، أو منفعة عاجلة.

لذا: كان المخادعون مكروهين ومبغضين إلى كل النفوس في كل المجتمعات، ولاسيما في المجتمع المصري الذي خبر هذه الأشكال والصور على امتداد تاريخه الطويل.

*ومن ذلك ما نجده في قول الشاعر **"إسماعيل صبري باشا"** ساخرا من إنسان مخادع[2]:

١- ديوان العقاد/١١٣ . "المتقارب التام".

٢- ديوان إسماعيل صبري باشا/٩٢ . "الرمل التام".

لـــــك ألفـــــاظ إذا احتجـــــت إلى ... خـــير كانـــت شـــراك الخـــيرين
فـــإذا اســـتغنيت كانـــت أســـهما ... نافـــذات في قلـــوب المحـــسنين
لـــــو درى رب المـــــروءات رمـــــى ... لـك مـا رجيـت مـن حـصن حـصين
قـــد فـــضحت الطـــين والمـــاء معـــا ... يـــا سـليل الطـين والمـاء المهـين[1]

يسخر الشاعر- في هذه الأبيات- من إنسان مخادع، وتبدو هذه السخرية حين يصفه بجمال الألفاظ وطلاوتها حين يكون محتاجا إلى غيره، حتى إنه ليتصيد بها قلوب الخيرين والمحسنين، فإذا ما انقضت حاجته، ووصل إلى مأربه، أخذ يرمى من أحسن إليه بمطاعنه، ويؤذيه بذمه.

لذا جاء البيت الثالث يحمل بين ألفاظه هذه السخرية اللاذعة المؤلمة، حين يذكر الشاعر أن أصحاب الخير والإحسان لو علموا ذلك منه، لرموا له بإحسانهم وهم متحصنون في حصون منيعة؛ خوفا من وصول أذاه إليهم.

وفي ذلك من الاستخفاف به، والحط من قدره ما فيه، ولعل في التعبير بكلمة الرمى - الواردة في البيت الثالث – ما يدل على ذلك ويؤكده.

*ويقول **"العقاد"** ساخرا من مخادع غاش[2]:

أراك تـــــــصافحني ضاحـــــــكا ... فمـــا بـــال عينـــيك تبـــدى الحـــذر
أتـــضحك لـــي ضـــحكات القلـــو (م) ب ... إذا مـــــا علاهـــــا ضـــــياء القمـــــر
فـــلا تـــضحكن فكـــم مـــن عبـــوس ... وفي وكـــم مـــن ضـــحوك غـــدر
وإنـــي لأسمـــع ضـــحك القلـــو (م) ب ... بـــين الجـــوانح مهمـــا اســـتتر[3]

١- سليل الطين والماء: أي المخلوق منهما.
٢- ديوان العقاد/١١٢، طبعة الأنجلو ١٩٦٧م.
٣- الأبيات من بحر المتقارب التام (عروضه صحيحه وضرب محذوف).

فالشاعر – هنا – يسخر من هذا المخادع الغاش، الذي يصافحه وهو باش ضاحك بينما يقرأ الشاعر في عينيه آيات من الغش والخداع، والمكر والحذر، والمخادع تفضحه حماقة عيونه، واضطراب الحركة فيها. ولله در **"شكري"** حين قال:

وفي كـــل وجـــه لـــو فطنـــت إشـــارة تـدل علـى مـا في الـضمير مـن السر[1]

وسخر الشعراء المصريون – أيضا – من **"الجهلاء"** .

وليس المقصود بالجهلاء هنا: من لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، وإنما يقصد بهم بعض الأشخاص الذين نالوا حظا من التعليم والثقافة، ولكنهم مع ذلك ما زالوا يأتون بأفعال الطغام، ويرتكبون الحماقات والدنايا التي لا تليق بآدمية الإنسان الذي كرمه الله بالعلم.

والقرآن الكريم حين يتعرض لهذا الصنف من الناس يحذرنا منهم، ويأمرنا بالإعراض عنهم، كما في قوله – تعالى – : **"وأعرض عن الجاهلين"** [2].

ومن ذلك قول الشاعر **"إسماعيل صبرى باشا"** ساخرا من جاهل سفيه[3]:

بـــــذرت جهـــــلا وهجـــــرا فاحـــــصد أنـــــاة حـــــليم

روث اللـــــــــسان سمـــــــــاد في روض كـــــــل كـــــــريم

فالشاعر يسخر من جهل هذا الإنسان وفحشه وبذاءة لسانه، ويصور ما يصدر عنه من فحش في القول بالروث، وهو مخلفات الماشية العفنة.

وهذه صورة مقززة تصور هذا الجاهل يخرج من فمه روثا منتنا لا كلمات فاحشة وفي ذلك دعوة إلى التخلص من الفحش في القول، ومجانبة ما لا يليق من الألفاظ.

وانتزاع الروث من مقامه وجوه الخاص، واستعماله في مقام الفحش في القول، مما يجسد السخرية ويقويها هنا.

١- ديوان شكرى/٢٣٦ . "والبيت من الطويل".
٢- سورة الأعراف، من الآية: ١٩٩ .
٣- الديوان/٩٣ . "والبيتان من المجتث: مستفع لن ، فاعلاتن".

في البيت الثاني معنى بديع لا يمكن المرور عليه دون إشارة ؛ وهو أن الشاعر شبه سفه السفيه في أنه داعية إلى زيادة حلم الحليم، وكرم الكريم، بالسماد في الرياض، يزكو به الزرع، وينضر به النبات... وهو معنى فريد.

*ويقول **"عبد الرحمن شكرى"** ساخرا من معلم جاهل[1]:

لا تلوموا الشيخ الجليل على ما ... كان منه في مجلس التدريس

إنما همه التكسب بالآ ى ... وخطف الرغيفان يوم الخميس[2]

عمة فوق رأسه تشبه الور دة ... فوق الترب الذليل الخسيس

يسخر (شكرى) من هذا المعلم الجاهل الذي يخلط بين مسائل العلم، ولا يجيد شيئا سوى التحايل من أجل الحصول على لقمة العيش.

وتبدو السخرية اللاذعة في قوله **"لا تلوموا الشيخ الجليل"**، فهذا الوصف لا يقصد به الإجلال والتكريم، وإنما يقصد به السخرية والتهكم، لأنه تعبير مطاطى- إن صح هذا التعبير – له مفهوم ظاهر يلحقه بالمدح، وآخر خفي يلحقه بالذم، والمقصود الثاني؛ بدليل ما بعده.

كما تطل السخرية من البيت الثاني، حين يصور الشاعر هذا الشيخ في صورة إنسان شره لا يهمه شيئا من أمر العلم والدين سوى التكسب بآيات القرآن الكريم وخطف الأرغفة من أيدي المترحمين على موتاهم في أيام الجمع والمواسم.

وفي البيت الثالث، يأتي هذا التشبيه الذي تشبه فيه عمة هذا الشيخ وهي فوق رأسه، بالوردة التي وضعت فوق كومة من الترب الذليل الخسيس!

وهذه سخرية مؤلمة ولاسيما حين قيد الشاعر المشبه به بهذا القيد، فهو يشير إلى أن هذه العمة قد وضعت في غير موضعها ،إذ تتصارع تحتها قوافل من الجهل المزرى والرغبات الحقيرة الخسيسة!

وبالتأمل في هذا النص، نجد أن الشاعر قد وصف هذا الإنسان بالجهل من ثلاث نواح:

١- ديوان شكرى/٨١ . "الخفيف التام".

٢- كلمة "الرغيفان" وردت بالديوان هكذا، وهو خطأ لغوي ،والصواب أن تكون: "الرغفان".

من ناحية علمه، ومن ناحية سلوكه ، ومن ناحية شكله ومظهره.

***وسخر الشعراء المصريون – أيضا – من "البخلاء" .**

الناس منذ وجدوا على الأرض وجد فيهم الكريم والبخيل، وقد تعارف الناس فيما بينهم على أن الكرم فضيلة، كما تعارفوا على أن البخل رذيلة، لذا كان البخلاء في كل الأزمنة والأمكنة محلا للسخرية والنقد، بهدف الإصلاح وتقويم السلوك.

* ومن ذلك قول أمير الشعراء **"أحمد شوقي"** مداعبا صديقه الدكتور/محجوب ثابت ومتندرا ببخله[1]:

قـــل لابـــن ســـينا لا طبيـــب (م)	اليـــــــوم إلا الدرهـــــــم
هـــو قبـــل بقـــراط وقبـــ (م)	لـــــك للجراحـــــة مرهـــم
والنـــاس مـــذ كـــانوا عليـــه (م)	دائـــــــرون وحـــــــوم
وبـــسحره تعلـــو الأســـا (م)	فـــل في العيـــون وتعظـــم
يـــا هـــل تـــرى الألفـــان وقـــ(م)ـف	لا يمـــــــس محـــــــرم!
بنـــــك الـــــسعيد عليهمـــــا	حتـــــى القيامـــــة قيـــــم

يتندر أمير الشعراء – في هذه الأبيات – ببخل صديقه الدكتور محجوب ثابت ويحاول في أول الأمر مجاراته في مذهبه في الحرص والشح، فيعلن أن الدرهم هو الطبيب الحقيقي الذي يعالج أمراض الناس، وهو مرهم لكل الجراح.

لذا فالناس – مذ كانوا- يجرون وراءه ويحومون حوله، حتى أصبح صاحب المال مقدما على غيره في كل مقام.

بعد ذلك، يعود **"شوقي"** فيتندر ببخل صديقه حين يذكر أنه أودع ألفي جنيه في بنك **"حسن باشا سعيد"** ، وجعل الاقتراب منهما أو مسهما أمرا محرما، وبذلك أصبح بنك السعيد قيما عليهما إلى يوم القيامة.

١- الشوقيات، المجلد الثاني، الجزء الثاني/٢١٨ . "مجزوء الكامل".

والسخرية – هنا- تتجسد من خلال هذا الجناس الواقع بين كلمتي (القيامة، وقيم) وهو عنصر تخييلي له أثره القوي في السخرية.

وهي سخرية خفيفة أو قل مداعبة لطيفة، وإن كانت – في الوقت نفسه – تهدف إلى الحد من هذا المسلك وتدعو إلى التغيير نحو الأفضل.

*ويقول الشاعر **"حافظ إبراهيم"** ساخرا من بخيل أيضا الشوقيات، المجلد الثاني الجزء الثاني/٢١٨ . **"مجزوء الكامل"**. الشوقيات، المجلد الثاني، الجزء الثاني/٢١٨ . "مجزوء الكامل". [١]:

ولقد عجبت لبخله ... ولكفه المستحجر

لا يصرف السحتوت إلا (م) ... وهو غير مخير[٢]

لو أن في إمكانه ... عيشا بغير تضور[٣]

لاختار سد الفتحتين (م) ... وقال:ياجيب احذر[٤]

يسخر **"شاعر النيل"** من بخل هذا الإنسان، ويعجب لذلك الحرص المزرى! وتبدو السخرية، حين يصفه بأنه لا ينفق السحتوت (وهو المال القليل) إلا وهو مجبر على ذلك.

كما يصفه بأنه – لشدة بخله- لو كان يستطيع أن يعيش من غير طعام أو شراب دون أن يشعر بشيء من آلام الجوع والعطش، لفعل ذلك، بل لاختار سد الفتحتين اللتين يمر بهما الطعام دخولا (الفم) وخروجا (الشرج) وهذا منتهى الشح الذي يزرى بصاحبه ويجعله مبغضا إلى الآخرين من أبناء مجتمعه.

*وسخر – كذلك – من **"مخلفي الوعود"**.

خلف الوعود صفة مذمومة، والإنسان الذي يعتاد خلف الوعود، تهتز ثقة الناس به، لأنه بانزلاقه إلى هذه الهاوية ، شان نفسه، وأصبح موضع نقد وتندر ممن حوله.

١- ديوان حافظ/١٩٤ . "مجزوء الكامل".
٢- السحتوت: الشئ القليل ، واستعمل في نوع من العملة قليلة القيمة.
٣- التضور: التألم من شدة الجوع.
٤- يريد بالفتحتين : مدخل الطعام ومخرجه.

* ومن ذلك، نجد قول الشاعر **"أحمد الكاشف"** متهكما – بصديق له مخلف للوعد[1]:

يـــــا واعـــــدى بجزئـــــي ... يـــــوم الخمـــــيس ســـــلاما
مـــــضى ثلاثـــــون يومـــــا ... بعـــــد الخمـــــيس تمامـــــا
ومـــــا وفيـــــت بوعـــــد ... ومـــــا رعيـــــت زمامـــــا[2]
إلام أدعـــــوك عونـــــي ... ولا تجيـــــب إلامـــــا؟
إن كـــــان يومـــــك شهـــــرا ... وكـــــان شـــــهرك عامـــــا
خالفـــــت بـــــالخلف عنـــــدي ... يـــــاابن الكـــــرام-الكرامـــــا

يتهكم الشاعر- في هذه الأبيات- بصديق له اعتاد خلف الوعد، فهو إذا وعد بأمر لا يفي بما وعد، ولا يلتزم بالموعد الذي حدده للآخرين، فالأيام والشهور تمر بعد الموعد الذي ضربه لنفسه، ثم هو لا يفي بوعد، ولا يرعى ذمة.

ويبدو التهكم في البيت الثالث، حين ينفي الشاعر عن هذا الإنسان أن يكون قد وفى بوعد، أو رعى ذمة، والباء في (بوعد) لتأكيد هذا المعنى، فكأنه لا يفي بوعد ألبتة ! كما يبدو التهكم في هذا الاستفهام الوارد في البيت الرابع، والذي استعمل الشاعر فيه الأداة المركبة (إلام)، والتي توحي بطول دعوة هذا الصديق للعون والمساعدة، ثم هو لا يستجيب!

*وسخر الشعراء المصريون – أيضا – من "بعض الكذابين"؛ إذ الكذب خلة مذمومة ونقيصة أخلاقية تزري بصاحبها، وتجعله محلا للاستخفاف به والتندر عليه.

* ومن النماذج الساخرة في هذا المقام، قول الشاعر **"عبد الرحمن شكري"** ساخرا من رجل دائم الكذب[3]:

لام قـــــوم أنـــــي وصـــــفتك بالكـــــذ ... ب مـــــرارا، ومـــــرة فيـــــك تكفـــــي

١- ديوان الكاشف/١٣٨ . "بحر المجتث" .
٢- وردت كلمة(زمام) في البيت بالزاى، ومعناها على ذلك:الخيط أو الحبل الذي يشد به الشئ، والصواب أن تكون بالذال (ذمام) ويكون معناها: العهد، وهو ما يتمشى مع المقام هنا.
٣- ديوان شكرى/١٩٧م . "الخفيف التام".

ويـــك[1] لـــو أنـــني وصـــفتك بالكـــذ ب علـــى ســـبحة لقـــصر وصـــفي!

فالشاعر يسخر من هذا الرجل الذي بلغ في الكذب على غيره حدا لا يطاوله فيه إنسان آخر.

ولعل السخرية القاتلة تكمن هنا في البيت الثاني، الذي يقرر الشاعر فيه أنه لو جعل وصف هذا الرجل بالكذب ذكرا له يردده على مسبحته، لقصر في هذا الوصف، ووقع دون المراد منه.

وقد أكد الشاعر هذا المعنى عن طريق استعمال (لو) الشرطية التي تقتضي جوابا لها، وهو (لقصر وصفي)، مما يدل على بلوغ الرجل في تلك النقيصة مبلغا عظيما.

*ومن المعايب والنقائص الشخصية الغيرية التي سخر منها شعراء مصر في القرن العشرين: **"النزوع إلى التصابي ممن بلغ به العمر أرذله"**.

والنزوع إلى التصابي سواء أكان من جانب الرجال أم من جانب النساء، يعد تصرفا شاذا تأباه القيم الفاضلة، وترفضه الأخلاق الإسلامية، ويمجه أصحاب الهمم العالية الذين لا يتمردون على واقعهم.

وفضلا عن ذلك، فإن العادات والتقاليد التي تربى عليها المصريون، ترفض هذا الأمر، وتعتبره خروجا على المألوف.

* ومن ذلك قول الشاعر **"على الجارم"** ساخرا من شيخ متصاب[2]:

لنـــــا شـــــيخ تـــــولى أطيبـــــاه يهـــيم بحـــب ربـــات القـــدود[3]

يغـــــازل إذ يغـــــازل مـــــن قيـــــام وإن صـــــلى يـــــصلى مـــــن قعـــــود

يسخر **"الجارم"** من هذا الشيخ الذي بلغ به العمر أرذله، ثم لا يزال قلبه في ميعة الصبا، فهو يتعثر وراء البيض الحسان – من ذوات الأذيال المتقلصة عن السيقان البضة

١- وى: اسم فعل مضارع بمعنى أتعجب، والكاف حرف خطاب، والكلمة تفيد التعجب والزجر.
٢- المختار من شعر على الجارم/١١٣ . "الوافر التام".
٣- الأطيبان: الشباب والنشاط، وقيل: القوة والشهوة، والثاني مناسب لما معنا.

والجيوب المنحسرة عن الترائب المرمرية، والثدى والنواهد- هنا وهناك.

وتكمن السخرية اللاذعة هنا في البيت الثاني، فهذا الشيخ الفاني حين تهزه دواعي الطرب إلى مغازلة النساء، يغازلهن وهو واقف؛ محاولا – بذلك- أن يثبت لهن أو لنفسه أنه ما زال قادرا على العطاء، بينما نراه يؤدي فرض الصلاة قاعدا لعجزه عن الأداء واقفا!

والمعنى: أنه عندما يخلوا إلى نفسه، يعترف بضعفه، وعدم قدرته على شئ، لكنه عندما يخرج إلى الشوارع، تثور فيه غريزة حب الانتقام لنفسه من زمن بخل عليه بالمتع! وهي سخرية مؤلمة!!

*ومن ذلك أيضا قول الشاعر **"هاشم الرفاعي"** ساخرا من متصاب بعد الشيخوخة[1]:

لا بـــالملام ولا بالنـــصح تنتفـــع ... متـى أراك عـن التهلـيس تمتنـع ؟ [2]

رأيـت ذقنـك مثـل الـصوف شـايبة ... ولـست عـن سـيرك البطـال تنقطـع[3]

قـضيت خمـسين عامـا كلـها قـرف ... حتـى كـبرت وعـاد الـضرس ينخلـع[4]

عـار عليـك إذا أصـبحت منحنيـا ... وفيـك كـل صـنوف الهلـس والبـدع

وقـد بـدا – رغـم "مكيـاج" تزولـه ... في رأسك الأبيـضان: الـشيب والـصلع

يسخر **"هاشم الرفاعي"** من هذا الشيخ المسن الذي طوعت له نفسه أن يركب أجنحة الهوى، ويندفع إلى صنوف البدع والباطل يعب منها عبا، دون أن يرعى حقا لسن أو يقيم حرمة لفضيلة.

وتبدو السخرية في هذا الاستفهام التوبيخي التقريعي الذي يحمله البيت الأول وكأن هذا الرجل لما لم ينتفع بلوم ولا بنصيحة، استحق التوبيخ والتقريع الذي يعلن عن

١- ديوان هاشم الرفاعي- الأعمال الكاملة/٤٥٧ . "البسيط التام".

٢- التهليس: هو السير المعوج الذي يتعثر في مشيه، والمهلس: هو الذي لا يرى أثر الفضيحة عليه.

٣- السير البطال: هو السير في الباطل، من قولهم:رجل بطال، أي: ذو باطل(اللسان، ج١١/٥٦).

٤- القرف: ملابسة الداء، ومداناة المرض والتلف والهلاك، والرجل المقرف: هو النذل. (اللسان،ج٩/٢٨١).

فساد موقفه، وضعف جانبه،وتقديم اللوم على النصيحة في البيت غير دقيق؛ لأن اللوم أعنف من النصح، والأولى تقديم اللين على العنف لا العكس.

كما تبدو السخرية في البيت الأخير، حين يصور الشاعر هذا الشيخ في صورة من يحاول جاهدا أن يكتم شيبه، ويعالج مظاهر الضعف في نفسه، مع فساد المحاولة، وعدم جدوى التخفي والتستر!!

وهي سخرية مؤلمة وموجعة؛ لأنها تكشف المستور، وتعلن عن المكتوم.

والسخرية هنا تدل – في وضوح- على رفض المجتمع لهذا الأمر؛ باعتباره لونا من النشاز أو الشذوذ الذي يصيب بعض أفراده.

*وسخرية – كذلك – من "الحذلقة" .

والخذلقة: هي التظاهر بالظرف، والمتحذلق: هو من يدعى أكثر مما عنده من الحذق ، أو يتظاهر بالكياسة.

وكثيرا ما نجد بعض الناس يحاول أن يتحذلق ويتكلف، سواء أكان ذلك في كلامه أم في شكله ومظهره، أم في معرفته بالأشياء، ويحاول جاهدا أن يظهر لغيره أنه يعرف أكثر مما يعرفون.

"**وإيا ما كانت الحذلقة فهي تمثل نوعا من الأنواع المضحكة؛ لأنها قائمة على عيب أو مرض نفسي يضيق الناس به، ويريدون علاجه**" [1].

ومما يمثل به في هذا المقام: قول الشاعر "**عبد الرحمن شكري**" ساخرا من أديب متحذلق[2]:

يبيت طوال الليل يقدح رأيه ... كما قدح المقرور صخر زناد[3]

يعالج في نسج القريض قصيدة ... كأن له فيها أشد جلاد[4]

١- الفكاهة في الأدب، د. أحمد الحوفي، ج١/١٢٥ .

٢- ديوان شكرى/١٩٦ . "البحر الطويل".

٣- المقرور: هو من أصابه البرد.

٤- الجلاد: الصبر على المكروه والشدة.

فيـأتي بهـا كـالبكر قـد طـال حبـسها تحـدث فينـا عـن ثمـود وعـاد
يقلـب فـوق الفـرش جنبـا كأنمـا يحـك بـه في الفـرش شـوك قتـاد[1]
ويزحـر كـالحبلى إذا آن وضـعها ولكنـه زحـر بغـير ولاد[2]

يسخر (شكرى) في هذا النص من أديب متحذلق متكلف، يرهق نفسه ويحملها من العنت فوق طاقتها، وذلك عند نظم قصائده، فترَه يبيت ليله متقلبا عى فراش الفكر والأرق، وتصدر منه كثير من الآهات والتوجعات، وكأن شوكا مؤذيا يترَشق في جنبيه أو كأنه امرأة حبلى تئن وتتألم عند وضعها.

وتكمن السخرية هنا: في تصوير مقدار الجهد والإرهاق الذي يتكلفه هذا الأديب في عمله ، وكأنه مجاهد يخوض حربا لا هوادة فيها، ثم تأتي النتيجة السيئة وغير المرتقبة بعد ذلك، وهي أن عمله يجئ غريب الوجه واليد واللسان، وكأنه يحدث به عن قوم ثمود أو قوم عاد.

والمقصود: أن عمله لا يعبر عن الواقع الذي يعيشه ، وإنما هو في واد والناس في واد آخر.

كما تبدو السخرية – في البيت الأخير– حين يشبهه الشاعر بالمرأة الحبلى التي تئن وتتوجع عند قرب الوضع، ولكن أديبنا هذا يئن ويتوجع دون أن يلد أدبا ذا قيمة، فهو إذن يحدث أنينا وفرقعة فارغة في الهواء، ويصدر جعجعة ولا نرى لها طحنا !!

وهذه سخرية لاذعة، تهدف إلى طرح الحذلقة والتكلف؛ إذ لا خير فيهما.

* هذا، عن السخرية الشخصية الغيرية من بعض العيوب الأخلاقية في النصف الأول من القرن العشرين..

١- القتاد: نبات صلب له شوك مؤذ، ويضرب به المثل للشئ ينال بعد تعب ومشقة.
٢- يزحر من زحر، والزحير، والزحار، والزحارة: إخراج الصوت أو النفس بأنين عند عمل أو شدة. ويقال للمرأة إذا ولدت ولدا: زحرت به (اللسان، ج٣١٩/٤).

أما في النصف الثاني منه، فقد تضافرت فيه أيضا جهود الشعراء على ذم نفس هذه النقائص، والسخرية من أصحابها، مع تغييرات طفيفة، وزيادات يسيرة أدت إليها تطورات الحياة الجديدة.

فنراهم يسخرون من بعض العيوب والنقائص الأخلاقية التي تفشت لدى بعض الشخصيات في المجتمع المصري.

* فقد سخروا من **"الثقلاء"** كما سخر منهم أدباء النصف الأول، وإن غلب على السخرية منهم في النصف الثاني جانب التفصيل والإطالة والإمعان في تعداد المعايب والنقائص.

*ومن ذلك قول الشاعر**"على الجندى"** ساخرا من ثقيل[1]:

ثقيل على أرواحنا ثقل الحجر ... نلقبه من شؤمه زحل البشر[2]

تغيب بشاشات المنى بحضوره ... وتهجر أحزان النفوس إذا هجر

كأن ثلوج القطب حشو ثيابه ... فإن هو وافى كاد يقتلنا الخصر[3]

ترى الصحب منه مشفقين كأنما ... تساورهم من قربه الحية الذكر

فإن لمحوه من بعيد تغامزوا ... ولاذوا سراعا بالأخاديد والحفر

وأبشع من ضحك القرود حديثه ... وأقبح من فقر ألم على الكبر

يمن على جلاسه بجلوسه ... وأمتع منه أن تجالسك البقر

أعوذ بوجه الله من وجه ضفدع ... نطالع في أسراره صفحة الكدر

إذا حل فى روض بكي الطير شجوه ... وناح به الينبوع ، وانتحب الزهر

وإن لحظت ألحاظه قمر الدجى ... فما عجب إن قيل:قد خسف القمر

١- ألحان الأصيل/٣١٦ . "بحر الطويل".

٢- زحل: كوكب ينسب إلى النحس .

٣- الخصر: البرد.

ولـــو راح يومـــا حـــاملا بعـــض ظلـــه لخـــر صـــريعا لليـــدين علـــى الأثـــر
يحـــاذر "عزريـــل "مـــن الـــبرد مـــسه فمـن أجـل هـذا قـد تراخـي بـه العمـر
فيـــارب، لا تـــدخل جنانـــك مثلـــه فيهـرب منـه الـصالحون إلى سقـر

يسخر **"الجندى"** في هذه القصيدة من هذا الثقيل، ويحاول أن يستقصى كل صفات القبح والبشاعة فيه.

وتبدو السخرية هنا ذات تفصيلات عديدة، ففي الأبيات الثلاثة الأولى يصور الشاعر ثقل هذا الإنسان على نفوس وأرواح من حوله، بالحجر، وقد جاء ذلك عن طريق التشبيه المنزوع الأداة والوجه؛ مبالغة في تصوير هذا الثقل، وقد بدأ الشاعر كلامه بكلمة (ثقيل) من باب الإسراع إلى المطلوب، وهو الذم.

وتلقيب هذا الإنسان بـ"زحل البشر" فيه سخرية لاذعة؛ لأن **"كوكب زحل"** هذا منسوب إلى النحس والتشاؤم، وقد أكد الشاعر هذه السخرية حين جعل البشاشات تغيب عند حضوره، وحين جعل أحزان النفوس تتوارى وتهرب إذا هو هجر المكان.

كما تبدو السخرية اللاذعة في البيت الثالث، حين يشبه الشاعر ثلوج القطب الشمالي بهذا الثقيل، وهو تشبيه مقلوب كما نعرف، وهو يشير إلى أن المشبه (وهو هذا الإنسان الثقيل البارد) قد بلغ من الثقل والبرود حدا عظيما يصح معه أن تتحقق فيه صفة البرود أكثر مما تتحقق في القطب الشمالي الذي يبلغ القمة في هذا الشأن.

ولاشك في أن الشاعر يبالغ في هذا الوصف مبالغة كبيرة، ولذا جاء بلفظة (كاد) في النصف الثاني من نفس البيت ؛ لتخفف من وطأة هذه المبالغة.

*وفي البيتين الرابع والخامس: يصور الشاعر موقف أصحاب هذا الثقيل منه، وهو موقف ينم عن الخوف والاضطراب، ومحاولة الهروب منه.

وفي ذلك تصوير له بصورة مقززة، وهي صورة حية مؤذية تطارد أشخاصا وتنقض عليهم، مما يجعلهم يلوذون بالهرب في الأخاديد والحفر طالبين النجاة والسلامة منها.

وهي – بحق – سخرية قاتلة من هذا الثقيل ، تبرز مدى التحفظ منه، ومجانبته وكأنه وباء مدمر يحذره الناس.

*وفي البيت السابع: يسخر الشاعر من بلادة إحساس هذا الإنسان الثقيل، الذي يجلس إلى الآخرين ، ويطيل الحديث معهم، وهم كارهون له، ثم يعود فيمن عليهم بجلوسه معهم، وكأنه يتفضل عليهم بذلك.

وتبدو السخرية- في الشطر الثاني من البيت- حين يذكر الشاعر أن مجالسة البقر- رغم عجمتها أمتع من مجالسة هذا الثقيل.

وهي سخرية مؤلمة وموجعة، كما أن فيها شيئا من الخروج على آدمية الإنسان الذي كرمه الله!

***ونجد في البيتين السادس والثامن وصفا ساخرا لصوت ومنظر هذا الثقيل:**

أما الصوت: فهو صراخ فوضوى متداخل، وبه بشاعة تفوق بشاعة أصوات القرود حين تتضاحك.

وأما بالنسبة للسخرية من المنظر: فنجد الشاعر يسخر من قبح منظره، ودمامة شكله بصورة منفرة ، وذلك حين يشبهه بالضفدع، والضفدع –كما نعلم – ذو منظر بشع ومخيف ، كما أن النفوس تنفر منه عادة وطبعا.

*وفي البيتين التاسع والعاشر: يحاول الشاعر- على سبيل التهكم – أن يعدى شؤم هذا الإنسان الثقيل وضرره إلى مظاهر الطبيعة نفسها، فيصفه بأنه إذا نزل في روض، بكي الطير، وناحت الينابيع، وانتحب الزهر، كما أن نظر هذا الإنسان إلى القمر يسبب له الخسوف وتلك مبالغة غير مقبولة، لذا أراد الشاعر أن يخفف منها عن طريق **"إن"** حين قال: "فما عجب إن قبل قد خسف القمر".

*وفي البيت الحادي عشر: نجد السخرية اللاذعة – أيضا – من ثقل هذا الإنسان وذلك حين يذكر الشاعر أن هذا الإنسان الثقيل لو قدر لظله أن يقع عليه مرة لغاص به في الأرض بسبب ثقله.

وفي ذلك من السخرية والتندر على هذا الثقيل ما فيه.

*وفي البيت الثاني عشر: يسخر الشاعر من هذا الثقيل – أيضا- سخرية مرة وذلك حين يجعل العلة في طول عمره: أن ملك الموت يحاذر من الاقتراب منه أو مسه؛ خوفا مما به برد قاتل، وهي علة طريفة وإن كانت غير حقيقية، وهو ما يسمى بحسن التعليل .

ولعل مما يقوى هذه العلة: ما عرف عن الثقلاء من طول العمر لعدم إحساسهم بالآلام.

*وفي البيت الأخير، نجد هذه السخرية الفجة، حين يطلب الشاعر من الله ألا يدخل هذا الإنسان الثقيل جنته؛ لأنه إن دخلها، سوف يهرب منها الصالحون مفضلين اللجوء إلى النار على الإقامة معه في موضع واحد.

وهي سخرية تعبر عن البغض الشديد لهذا النوع من الناس، والنفرة منهم، وعدم مخالطتهم، وإن كان فيها قدر كبير من المبالغة غير المقبولة، فالله – تعالى- يقول: "ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين. لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين" [1].

ولعلك تلحظ ما في هذا النص من تفصيل وتدقيق وتعداد للمعايب والنقائص بصورة تتحقق فيها قوة السخرية وعمقها، وهو ما أشار إليه البحث آنفا، من أن هذه سمة لوحظت عند شعراءه مصر في النصف الثاني من القرن العشرين.

وقد أتاح هذا التفصيل فرصة للشعراء لنظم قصائد كاملة ومستقلة في السخرية وهي قصائد تتحقق فينها الوحدة الموضوعية[2].

١- سورة الحجر، الآيتان: ٤٧، ٤٨ .

٢- ينظر الأعمال الكاملة لهاشم الرفاعي/٤٥٧، والأعمال اكاملة لمحمود غنيم ،ج١/٩٠، ٩١، ٢٥٧ .

*ويقول الشاعر "**محمود غنيم**" ساخرا من صاحب ثقيل الظل، وذلك من قصيدة له بعنوان "**صاحب ثقيل**" [1]:

لي صاحب واف يزور مبكرا ... وتطول زورته سنين وأشهرا

ما زلت أمتدح الوفاء وأهله ... حتى وفى فرجوته أن يغدرا

ويبش في وجهي فأهمس قائلا ... سبحان من خلق الجبال وصورا[2]

حاولت يوما صرفه بتثاؤبي ... فرأيته فرق الأريك مسمرا[3]

فهتفت: جد لي بالجلاء، فقال لي: ... حتى تجود لنا به(إنجلترا)

ساءلت عن دمه، فقالوا :زئبق ... في كل عرق من نحاس قد جرى[4]

لو صب منه قطرة في جدول ... لتجمد الآذى بل لتحجرا[5]

وإذا أحس الجو رقعة وجهه ... صيفا، تلبد بالغيوم وأمطرا

في هذا النص يسخر الشاعر "**محمود غنيم**" من صاحب ثقيل الروح، ويحاول أن يكشف عما به من معايب وسلبيات، وهي – في مجملها- أمور تجعل هذا الإنسان جديرا بتلك السخرية.

وتبدو سخرية الشاعر منه حين يصفه في مطلع البيت الأول (بالوفاء) في موضع لا يستحسن ولا يستحب فيه الوفاء، فزيارة هذا الصديق غير مرغوب فيها لأسباب: أنه يكررها دون ملل، ويبكر بها منذ الصباح، ويطيل فيها بصورة منفرة.

وقد عبر الشاعر عن وفائه بالزيارة باسم الفاعل (واف) الذي يفيد الثبوت والاستمرار، كما عبر عن الزيارة نفسها بالفعل المضارع (يزور) وعن الطول فيها بالفعل

١- الأعمال الكاملة، ج١/٢٥٧ . "الكامل التام".
٢- بش، يبش، بشاشة: كان طلق الوجه.
٣- الأريك: مقعد منجد.ى
٤- الزئبق: عنصر سائل في درجة الحرارة العادية.
٥- الآذى: هو الموج الشديد، والجمع : أواذى.

المضارع (تطول) ، ومعلوم أن المضارع يفيد التجدد والحدوث وهو ما يريد الشاعر أن يسخر منه هنا.

وفي تعبير الشاعر عن طول وقت الزيارة "بالأشهر والسنين" مبالغة مقبولة، فيها كثير من السخرية اللاذعة من هذا الثقيل.

وأعتقد أن تعبير الشاعر بكلمة (أشهر) بوزن (أفعل) وهو جمع قلة هنا غير دقيق؛ لأن المقام مقام مبالغة في وصف طول الزيارة ، فالأنسب أن يعبر عن ذلك بجمع الكثرة (شهور)، ولعل مما يؤيدني في ذلك ذكره لكلمة السنين.

كما تبدو سخرية الشاعر، حين يصف هذا الثقيل – في بيته الثالث- بأنه عندما يبش أو يضحك يتغير شكله إلى القبح، وتظهر في وجهه مرتفعات ومنخفضات، كما يبدو منظر فمه المفتوح مخيفا ومروعا، فأنت لا تقف أمام إنسان، ولكنك تقف أمام جبل وعر المسالك، مخيف القسمات!

وهذه سخرية لاذعة من قبح شكل هذا الإنسان، ودمامة منظره.

*وتبدو السخرية – كذلك – حين يصف الشاعر هذا الثقيل- في البيتين الأخيرين- بالبرد القاتل.

فهذا الإنسان الثقيل- نظرا لبرودة – لو وقعت قطرة من عرقه في جدول ماء لتجمد الماء فيه، بل لتحجر تماما.

ونلحظ – هنا – لونا من الترقي في أسلوب السخرية، حيث إن الشاعر لا يكفيه مجرد تجمد الماء، فيرتقي إلى درجة التحجر، وهو أقوى من التجمد.

ثم يضيف الشاعر: أن الجو لو أبصر جلدة وجه هذا الإنسان الثقيل في أيام الصيف، لاختل ناموس الكون.. فتغيب الشمس، وتتكاثر الغيوم، وينزل المطر وقد جاءت كلمة (صيفا) هنا إيغالا في السخرية، وإمعانا فيها، إذ إن حدوث ذلك في الصيف يكون

أكثر غرابة منه لو حدث في الشتاء، كما أن كلمة (وأمطر) تفيد الترقي في مقام السخرية وبلوغها الغاية.

ولاشك في أن هذه مبالغة مقبولة من الشاعر في سخريته من هذا الثقيل، وقد حاول الشاعر جاهدا أن يتخفف من حدة المبالغة فيها، فلجأ إلى استخدام (لو) و(إذا) الشرطيتين.

*ومن السخرية من **"الكذب" قول الشاعر "عبد اللطيف النشار"** ساخرا من كاذب يدعى **"أحمد عوض"**[1]:

صـــــدقه غـــــير مفـــــترض ذلـــــك الأحمـــــد العـــــوض

مخلـــــــــف دون موعـــــــــد كـــــاذب دونمـــــا غـــــرض

يكـــــره الـــــصدق حـــــسبة إن رأى صـــــادقا ركـــــض

يتهكم الشاعر – في هذه الأبيات – من كذب هذا الإنسان؛ إذ الكذب نقيصة أخلاقية، ورذيلة اجتماعية تزري بصاحبها، وتحط من قدره بين الناس.

وتبدو السخرية – هنا – حين يجعل الشاعر "الكذب" أصلا في طبيعة هذا الإنسان، ولذا كان وقوع الصدق منه غير مفترض، وهذا منتهى التهكم والهزء به.

ولما كان هذا الإنسان ، قد اعتاد الكذب، وامتزجت نفسه به، فقد رأيناه يخلف دون موعد، ويكذب دون غرض أو هدف!

ثم يسخر منه الشاعر سخرية قاسية في بيته الأخير، حين يجعله يكره الصدق احتسابا لله، وقد دفعه ذلك إلى الفرار خوفا من رؤية أي إنسان صادق.

ولاشك في أن هذه الأوصاف فيها كثير من المبالغة والتهجم على هذا الإنسان، الذي أراد الشاعر – فقط أن يسخر من ممارسته لرذيلة الكذب.

١- الأذى: هو الموج الشديد، والجمع : أواذى.

ومع ذلك، فهذه المبالغات غير معيبة؛ لأنها تعطى مجالا واسعا للفكر والخيال والذهاب فيهما كل مذهب، والسخرية في أصلهما ضرب من التصوير والخيال.

*ومن ذلك قول الشاعر **"عبد المنعم عواد"** ساخرا من إنسان دعى متسلق كذاب، وذلك من قصيدته **"صرخة فى وجه دعى"** [1]:

أقصر، عرفتك ، لا تزد ... هذا زمان الأدعياء

الحب فيه مزعم ... معسولة لفظ خواء

دنيا من الزيف الجميـ (م) ـل ... تصوغها محض ادعاء

دنيا من الألفاظ تلـ (م) ـمع ... في ظواهرها الرياء

أنا قد عرفتك قد هتكـ (م) ـت ... الستر فانكشف الغطاء

عريت روحك كلها ... مزقت ذياك الرداء

فبدوت قزما تافها ... لا، لا تطاول لا اجترء

دنيا الأكاذيب التي ... شيدتها دنيا الدهاء

سقطت كأوراق الخريـ (م) ـف ... تناثرت عبر الفضاء

وقفت وحدك عاريا ... كالمسخ في هذا العراء

يسخر الشاعر من إنسان متسلق كذاب، يملأ الدنيا ضجيجا وصياحا فارغا ويبني لنفسه صروحا من الأوهام والأكاذيب الخادعة، ثم لا يلبث أن ينكشف أمره، وتظهر حقيقته المهينة أمام الناس.

وتبدو سخرية الشاعر منه هنا: حين يصوره – بعد زوال دنياه الزائفة- بصورة قزم تافه ذليل، يقف وحده في الميدان عاريا يتجرع آلام الكذب والإدعاء.

١- الأعمال الكاملة، ج١/٥٥٠، ٥٥١ . "مجزوء الكامل".

وهي سخرية مؤلمة من هذا الكذاب، وقد استطاعت أن تصور- في براعة- نهاية الكذابين ؛ تحذيرا وتخويفا، وبلاغا للناس.

*وسخر الشعراء المصريون في النصف الثاني من القرن العشرين – أيضا – من "البخلاء" كما سخر منهم شعراء النصف الأول؛ ومن ذلك قول الشاعر **"محمود غنيم"** مداعبا صديقا بخيلا يدعى **"عزيز"**[1] :

عزيـــز لـــيس بالرجـــل العزيـــز بخيـــل بخلـــه بخـــل غريـــزي
لديـــه قهـــوة مـــن غـــير بـــن يحليهـــا بملـــح إنجلـــيزي

فالشاعر يداعب صديقه هذا، ويصفه بالبخل، ويصف هذا البخل بأنه بخل مركوز في طبيعته البشرية، فلا يكاد ينفك عنه.

ويبدو المرح في هذه المداعبة حين يصف الشاعر قهوة صديقه هذا، بأنها من غير بن، كناية عن بخله حتى ببعض البن الذي يقدم للضيافة وهو أوهن الواجبات، ويمعن الشاعر في المرح والدعابة أكثر، فيجعل هذا البخيل يحلى قهوة ضيوفه بالملح لا بالسكر!

وهذه مداعبة لطيفة، توجه ولا تخدش، وترشد ولا تعنف.

*ومن الأخلاق المذمومة التي سخر منها الشعراء المصريون في النصف الثاني من القرن العشرين لدى بعض الشخصيات في المجتمع المصري:**"الغرور"** والغرور كما يقول الدكتور أحمد الحوفي **"مرض نفسي يدفع المصاب به إلى أن يعطي نفسه أكثر من حقها ضعفا أو أضعافا، وقد ينسب إلى نفسه ما ليس فيها من مزايا، ويزعم أنه أقدر الناس وأذكاهم ، وأبعدهم نظرا، وأشدهم رأيا، وأجدرهم بالرياسة والزعامة، أو بالتجلة والإكرام والناس يرونه في غرور كاذبا، لأنهم يعرفون قدر، ومكانته، ويرونه متجاوزا حده، معتديا على غيره؛ لأنه يزعم لنفسه ما ليس له، ويسلب الناس ما هم جديرون به"** [2].

١- الأعمال الكاملة/٥٨١ . "الوافر التام".
٢- الفكاهة في الأدب، ج٩٦/١ .

لأجل ذلك، وجدنا سهام النقد والسخرية مصوبة إلى كل من اتصف بهذه الرذيلة الأخلاقية، ليس ذلك في الشعرى المصري في القرن العشرين فحسب، بل في الأدب الإنساني بعامة.

*ومن شواهد ذلك؛ قول الشاعر **"العوضي الوكيل"** ساخرا من إنسان مغرور، وذلك في نتفة[1] له بعنوان: **"الإنسان المغرور"**[2] :

أنـــت عـــال ككومـــة مـــن تـــراب	وكـــبير كقطعـــة مـــن ضـــباب
فـــإذا الـــشمس أشـــرقت ذبـــت فيهـــا	قطـــرات تـــضيع بـــين الـــترب
وإذا الـــريح أقبلـــت لم نجـــد منـــ ك	ســـوى حفنـــة علـــى الأعتـــاب

فالشاعر- هنا – يسخر من هذا الإنسان المغرور سخرية لاذعة، وتبدو هذه السخرية حين يشبهه الشاعر في علوه بكومة من تراب، كما يشبهه في كبر حجمه بقطعة من الضباب، ثم يمعن الشاعر في سخريته، فيرجع إلى كل تشبيه من هذين التشبيهين وصفا ينقضه ويهدمه ، وينتزع منه المزية.

فهذا المغرور – في علوه – ككومة الترب العظيمة، لكن الريح إذا هبت عليها لم تبق منها سوى حفنة حقيرة مهدرة على الأعتاب.

وهو في كبر حجمه – أيضا – كقطعة من ضباب، لكن الشمس إذا أشرقت عليها أذابتها وضيعتها بددا بين طيات الترب

وقد أعان الشاعر على ذلك: استخدامه لفن من فنون الإجمال والتفصيل، وهو ما يعرف في البلاغة باللف والنشر غير المرتب أو المشوش، وذلك لمجئ النشر فيه على غير ترتيب اللف[3]، والسخرية – هنا- تشير إلى أن ما ينسبه هذا المغرور إلى نفسه افتراء لا يصمد أمام الحقائق، بل سرعان ما يتهاوى وينتهى أمره.

١- النتفة: هي أن ينظم الشاعر بيتين أو ثلاثة في موضوع ما (راجع: العروض القديم، د. محمود على السمان/١٨٦، طبعة دار المعارف سنة ١٩٨٤م).

٢- ديوان شفق/١١٩ . "الخفيف التام".

٣- راجع: دراسات منهجية في علم البديع، د. الشحات محمد أبو ستيت/٢٢٤، الطبعة الأولى، دار خفاجي للطباعة والنشر- كفر شبين قليوبية ١٩٩٤م.

*وسخر الشعراء المصريون في النصف الثاني من القرن العشرين – أيضا- من **"الخيانة"** باعتبارها عيبا شخصيا متفشيا لدى بعض الأشخاص الذين يعيشون في المجتمع.

والخيانة من العيوب الهدامة للمجتمع، والتي تتسبب في إلحاق كثير من الأذى والضرر بأفراده، لذا **"وقفت منها القوانين موقفا صارما، واتخذت الاحتياطات الواجبة لمقاومتها، ومنع وقوعها، وشرعت لها ألوانا من العقاب مجزئة ورادعة"** [1].

وكذا كان موقف الشعراء المصريين في النصف الثاني من القرن العشرين من الخيانة؛ إذ وقفوا لها بالمرصاد، وتعقبوا المتصفين بها بالنقد والسخرية.

* ومن ذلك قول الشاعر **"كمال نشأت"** ساخرا من خيانة صديق له[2]:

- **من زرني..**
- **هل كنت أنت ؟**
- **إني رأيتك في البطاقة**
- **أحرقا شوهاء .. موتى**
- **عبرت بي الصدمات**
- **أفدحها الخيانة من صديق!!**
- **يا خائنا خبز الأخوة**
- **مسرقا بترٍ وبتا**
- **اغتلت حتى الذكريات**
- **عزيزة!**
- **يا قاتلي..**
- **هل جئت ثانية لتذبحني..**

١- السخرية في أدب المازني، د. حامد الهوال/٥٣ .

٢- الأعمال الشعرية الكاملة، ج١/١٣١، ١٣٢ . "بحر الكامل".

- **وقد أشبعت موتا**
- **إني على ألمي عفوت!!**
- **وأنت قد أتخمت مقتا !!**

يسخر الشاعر (كمال نشأت) في هذه القصيدة من خيانة صديقه هذا لعهود المودة والإخاء، وإسرافه في تقطيع أواصر الصداقة التي تربط بينهما، وعمله على اقتلاع جذورها.

وتبدو مظاهر هذه السخرية: حين يذكر الشاعر أن الحياة قد أرهقت ظهره بمتاعبها وويلاتها، وصدمته بكثير من الفواجع والنوازل، لكنها كانت هينة عليه إذا ما قورنت بالجرح الذي أحدثته خيانة هذا الصديق، إذ كانت خيانته هي الجرح الفادح الذي قصم الظهر، وأطفأ بهجة القلب.

وقد عبر الشاعر عن ذلك في السطرين الشعريين الخامس والسادس.

كما تبدو السخرية في السطر الشعري التاسع ، حين يصف الشاعر هذا الصديق بأن إسرافه في التنكر والخيانة قد تخطى الواقع المشهود، ورجع إلى الذكريات القديمة يغتالها واحدة بعد الأخرى.

وهي سخرية فجة من الجفاء بعد الوفاء،ومن الخيانة التي تلوث الماضي والحاضر.

كما تبدو السخرية المرة في السطر الشعري الأخير، حين يصف الشاعر هذا الصديق الخائن بأنه قد أصيب بالتخمة.. ثم يميز الشاعر هذه التخمة بأنها ليست تخمة ناتجة عن الإفراط في الطعام والشراب، ولكنها تخمة ناتجة عن المقت والكراهية التي لحقته بسبب خيانته.

والتخمة المسببة عن المقت والكراهية تعبير لطيف، فيه شئ من الجدة والطرافة.

*وسخر الشعراء المصريون في النصف الثاني من القرن العشرين – كذلك- من "المكر والخديعة" لدى بعض شخصيات المجتمع.

ومن ذلك قول الشاعر **"كمال نشأت"** ساخرا من صحفي ماكر خداع[1]:

- **وعجيب أن يكون الحال في هذا الورى:**
- **بعضهم مثل الندى بعضهم كالمحبرة !! [2]**
- **لا يرون الشمس فالأعين تدنو للثرى !! [3]:**
- **حقدهم يملأ حتى الأوجه المعتكرة !! [4]:**
- **تلونت مصفرة خارجة من مقبرة !!**
- **الذئب منهم مسهب قول الصحاب البرة !**
- **تأكل حقدا نفسه نيرانه المستعرة !**
- **يلقاك وجها ضاحكا والخبث فيه قد سرى!!**
- **حتى إذا استدرت أخفى في الحنايا خنجرة !!**
- **شأن الوضيع اهتبل الفرصة جبنا وانبرى! [5]:**
- **مركب النقص الذي أتعبه وخدرة !!**
- **أسود القلب عريق في النوايا القذرة !!**
- **فعاش يبغض الورى.. ونفسه.. وتدرء!**

يسخر الشاعر- في هذه القصيدة – من المكر والخديعة التي يتصف بها هذا الصحفي المتلون، والشاعر لم يتوجه إليه بالسخرية مباشرة، وإنما بدأ يتكلم عن الورى بوجه عام، ذاكرا ما هم عليه من سواد القلوب، وأحقاد النفوس، ثم تسلل الشاعر من خلال هذه المقدمة الملائمة إلى فريسته ساخرا منها سخرية لاذعة.

١- الأعمال الشعرية ، ج١/١٤٦ وما بعدها. "الرمل الحر".
٢- الأعمال الشعرية الكاملة، ج١/١٣١، ١٣٢ . "بحر الكامل".
٣- الأعمال الشعرية ، ج١/١٤٦ وما بعدها. "الرمل الحر".
٤- الأعمال الشعرية ، ج١/١٤٦ وما بعدها. "الرمل الحر".
٥- الأعمال الشعرية ، ج١/١٤٦ وما بعدها. "الرمل الحر".

وتبدو هذه السخرية: حين يصف الشاعر – هذا الصحفي – في السطر الشعري السادس- بأنه ذئب، يظهر للناس الوداد والمؤانسة، وهو مطوى على الغدر والخديعة.

ولفظة (الذئب) التي عبر بها الشاعر تعكس كثيرا من الظلال والدلالات التي تخدم المعنى الذي أراده الشاعر، وهو وصفه بخبث الطوية.

ولعل السطر الشعري السابع يؤكد هذا المعنى ويدعمه.

وتبدو السخرية – كذلك – في السطرين الثامن والتاسع، وذلك حين يصف الشاعر هذا الصحفي باللؤم وخبث الطوية، فهو يلقي صاحبه باشا ضاحكا، بينما يده تخفي خنجرا خلف ظهره، فأعجب لإنسان يمد إحدى يديه مسلما، ويمد الأخرى طاعنا وقاتلا.

ولعل السخرية التي يحملها السطر الشعري الأخير تكون من ألذع السخريات في هذا النص، وذلك حين يصفه الشاعر بالكراهية لنفسه، والكراهية للقدر الذي كتبه الله عليه ، وهذا يعني أنه إنسان به عيب نفسي يحتاج إلى علاج ومقاومة.

وإلى هنا، نكون قد ألقينا الضوء على السخرية الشخصية في الشعر المصري في القرن العشرين، سواء أكانت ذاتية أم غيرية، خلقية أم خلقية راصدين – في كل ذلك – من الشواهد ما نرجو أن يساعد في توضيح الرؤية، وإصابة الهدف، وبلوغ المراد.